

ا. د. مستطاد ماهر

مساجد في السيرة النبوية

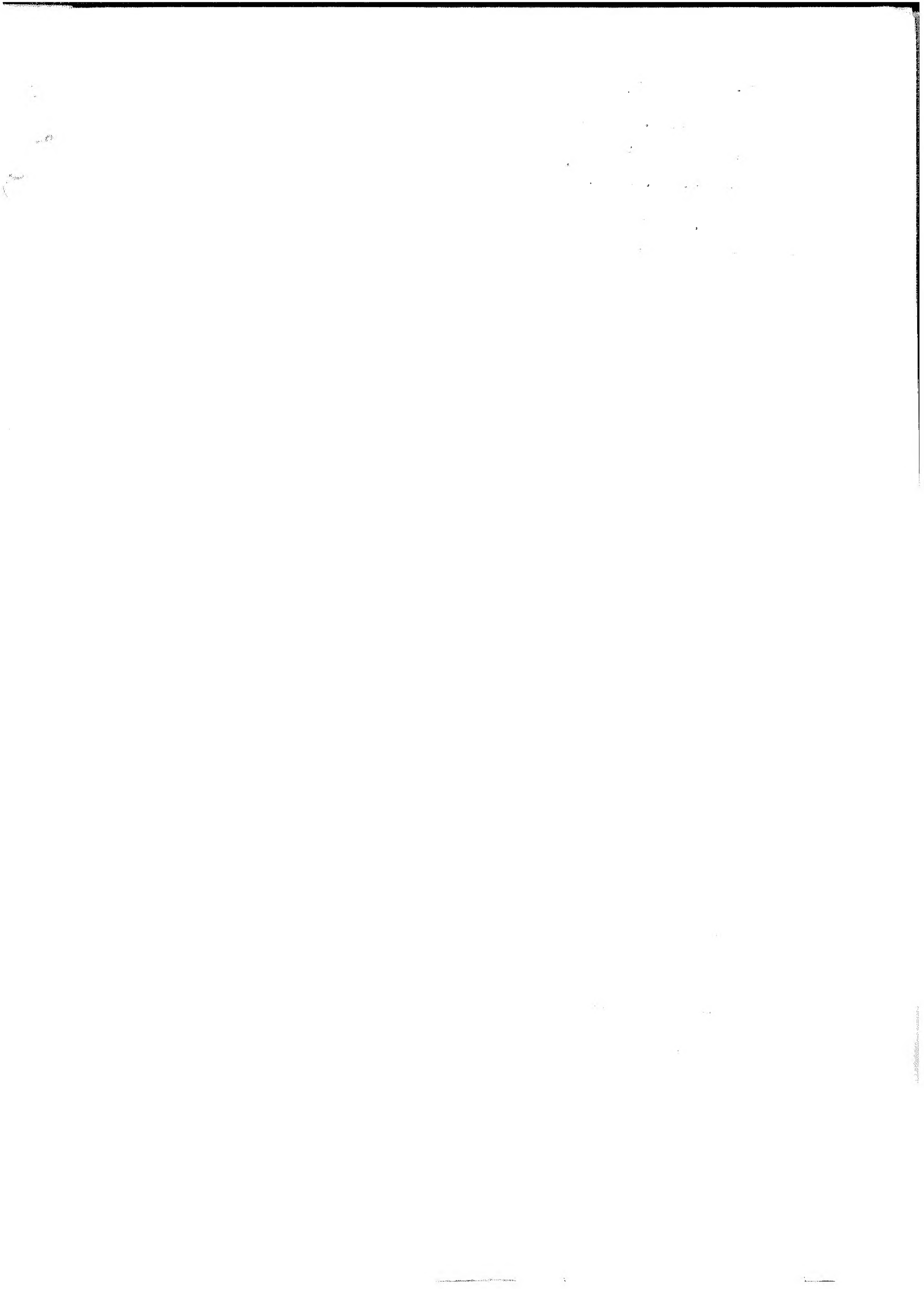


لوحة رقم (١٨) : محراب المسجد النبوي



لوحة رقم (١٥) : اروقة المسجد النبوي



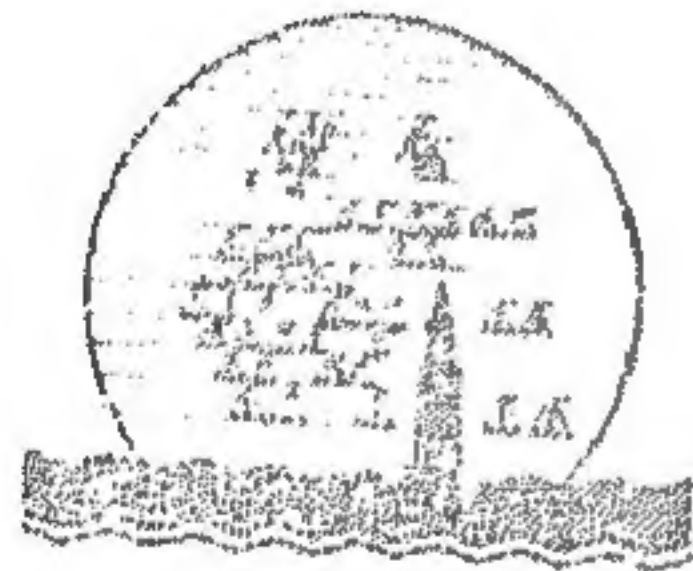


2695

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم الكتاب : _____
م تسجيل : _____

مساجد في السيرة النبوية

إ. د. سعد ماهر



Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

مكتبة جامعة القاهرة

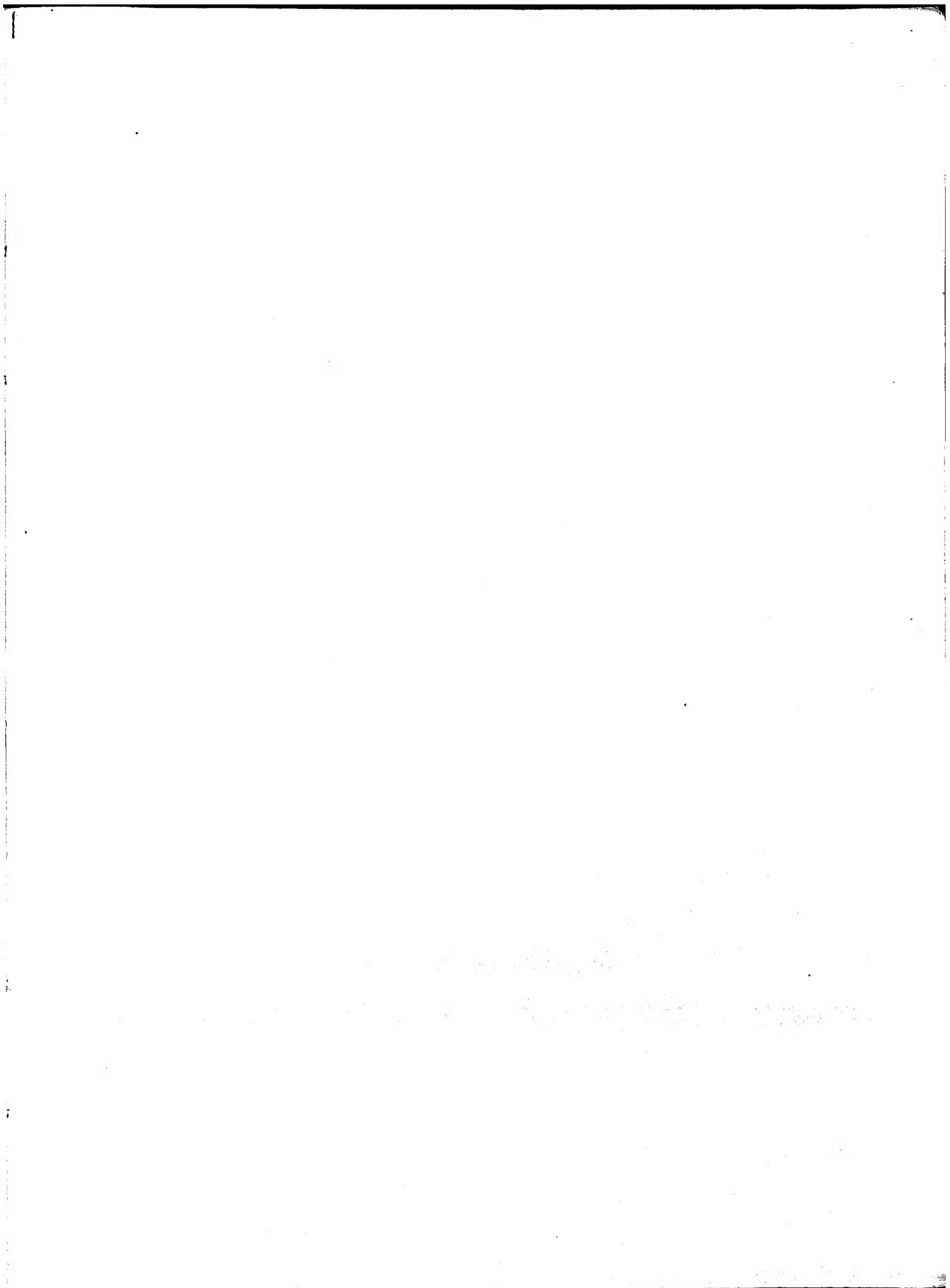
الطبعة الأولى ١٩٨٤

الإخراج الفني

أبير جودجي

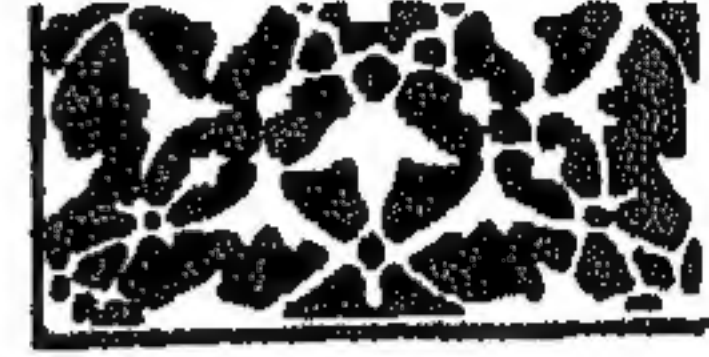
مساجد في السيرة النبوية







مقدمة



لعل خير ما نستهل به السيرة العطرة ، سيرة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث عن أماكن ذكر فيها اسم الله كثيراً سجوداً وقياماً وتعبداً وخشوعاً ، جاء اسمها في سياق السيرة النبوية دون أن تأخذ ما تستحقه من العناية أو الوصف وتحديد المكان ، تلك هي قصة المساجد الأولى في الإسلام التي كان لها في قصة جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدعوة الإسلامية أثر أكبر الأثر . ونود قبل أن نتناول هذه المساجد بالبحث والوصف والدراسة ، أن نذكر في كلمات ، جانباً من السيرة العطرة ، وخاصة تلك التي تدور أحداثها حول تلك المساجد .

قال البخاري ، في ترجمة (مبعث النبي صلى الله عليه وسلم)^(١) : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم^(٢) بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (بن خزيمة) بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٣) .

(١) البخاري : المتأقب ج ٧ ص ١١٣ .

(٢) وقيل ان هاشم بن عبد مناف إنما سمي بهذا الاسم ، أنه كان عليه رعاية الحبيج ورفادتهم في هرات ، وحدث أن انتابت الحجاز مجاعة فخاف أن تقضى على وفود الحبيج ، فإكان من ابن عبد مناف إلا أن سافر إلى بلاد الشام ، واشترى كميات كبيرة من الكعك وأق به إلى مكة وهشمة باللبن وقدمه إلى الحبيج وأنقذهم من المجاعة ، فعرف منه ذلك الوقت بهاشم ، كنانة عن الجود والكرم (الأزرق ، تاريخ مكة ج ١ ص ٥٧) .

(٣) العاقولي : الرصف لما روى عن النبي من الفعل والوصف ج ١ ص ١٣ .

ويحدثنا الأزرق^(١) عن السبب في تسمية قصي وأبنائه وأتباعه بقريش فيقول : قال ابن اسحاق ، فلما كان ذلك العام ، فعلت (صوفة) ، كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولائهم ، فاتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة ، عند العقبة (بمى) فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفة وغلب قصي على ما كان بأيديهم من ذلك^(٢) .

ويضيف الأزرق فيقول : أما عن تسمية قصي ومن معه بقريش ، فيرجع إلى أن سدنة الكعبة قبله من جرهم وخزاعة ، كانوا يسكنون أعلى جبل أبي قبيس الذى يقع إلى الجنوب من مكة ، وذلك خوفاً من أن يدينسوا بيت الله بما يقترفوه من الآثام والقذارة . فلما تغلب قصي عليهم ، رفض سكنى جبل (أبي قبيس) وطلب من أبنائه وأتباعه أن (يتقرشوا) أى يتحولقوا حول الكعبة حتى تهابهم العرب فعرفوا منذ ذلك الوقت بقريش . ويضيف الأزرق فيقول : وكان عليهم منذ أن تقرشوا حول الكعبة أن يحافظوا على طهارتهم ، فعرفوا كذلك (بالحُمس) أى المتطهرين ، إذ لم يكتفوا بعدم ارتكاب الفاحشة فحسب بل حافظوا على طهارة ملابسهم عند دخولهم الكعبة ، كما حرصوا على أن لا تطوف العرب حول الكعبة بملابس غير طاهرة ، ومن ثم فقد كانوا يعطون الطائفين من عليّة القوم ملابس من عندهم طاهرة ، أما فقراء العرب فكانوا يطوفون حول الكعبة مساءً وهم عراة حتى لا يُنجسوها^(٣) .

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم لأبويه عبد الله بن عبد المطلب وأمه آمنة بنت وهب بمكة المكرمة في الدار التى تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج وذلك كما يقول ابن عبد البر^(٤) : قال الزبير ، يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ،

(١) الأزرق : مكة ج ١ ص ١١٩ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) الأزرق : مكة ج ١ ص ١٢٢ .

(٤) العاقول ج ١ ص ١٩ .

قال : وقيل : بل يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل .

وكان أبوه قد مات وأمه حامل به ، فكفله جده عبد المطلب ، وتوفيت والدته بالأبواء بين مكة والمدينة وهو ابن ست سنوات وقيل سبع وقيل ثمان سنين ^(١) . وتوفي جده عبد المطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهرا ^(٢) ، سنة تسع من أول عام الفيل ^(٣) .

وقد نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة وهو في الأربعين من عمره فمكث ثلاث عشرة سنة ^(٤) ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الثالثة والستين من عمره ^(٥) .

وقال ابن اسحاق : وكان ما أخفى النبي صلى الله عليه وسلم أمره واستقر به إلى أن أمر بإظهاره ، ثلاث سنين من مبعثه :

وقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين وتحمل ما أنزل به وبأصحابه رضي الله عنهم ، حتى بعث بهم إلى النجاشي ، وأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة مرتين ^(٦) . وجاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الحاج في منازلهم في أسواق عكاظ وذى مجاز ومجنة ومنازلهم بمنى : من يؤويني وينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره .

(١) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ١١٦ .

(٢) ابن عبد البر : الإستهباب ج ١ ص ٣٤ .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ١٢٦ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ج ١ ص ٣١٨ .

(٥) البخاري : المغازي ج ٨ ص ٢٣ .

(٦) الحاكم : المستدرک ج ٣ ص ٣٨٨ .

وقال ابن اسحاق المظلي : ثم أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وكان الإسلام قد فشا بمكة في قريش وفي القبائل كلها ، .
ويضيف ابن اسحاق فيقول عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً أحسن منه إلى الخ ، .

وقد توالى الكوارث على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد (الإسراء والمعراج) وذلك بوفاة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد وعمه (أبوطالب) في عام واحد ، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من أقاربه من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، فخرج إليهم وحده ، وهنا يقول ابن اسحاق عن ابن كعب القرظي قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب ، فجلس إليهم الرسول ، فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط ^(١) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال آخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال ثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لأن كنت رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولأن كنت تكذب على الله فما ينبغي أن أكلمك ^(٢) فقام الرسول صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يش من ثقيف ، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط ^(٣) لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وهم فيه . فلما إطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى قريب يتجهمني ؟ أم عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ

(١) يمرطه : أي بتزعة ويرمى به .

(٢) ابن هشام ج ١ ص ٤١٩ .

(٣) الروض الأنف ص ٢١١ (الحائط : البستان)

فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ
سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك» (١) .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، كما ذكرنا آنفا ، وما لقي ، عطفوا . عليه ، فدعوا
غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عدّاس فقالا له خذ قطفا من العنب ثم اذهب به إلى ذلك
الرجل ، ففعل عدّاس ثم قال له : كُلْ ، فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه
يده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام
ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل أى البلاد
أنت يا عداس ، وما دينك ؟ قال نصراني من أهل نينوى (٢) ، فقال الرسول من قرية
الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متى ، فقال
الرسول : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على الرسول يقبل رأسه ويديه
وقدميه (٣) ثم قال : وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا إلى مكة .

ثم قدم الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه
وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمنوا به . فكان الرسول يعرض نفسه في مواسم
الحج على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه
ويعتصموا بحق بين الله ما بعثه به . فلما كان العام المقبل من موسم الحج وافى الموسم من
الأنصار اثني عشر رجلا لا قوة بالعقبة الأولى فبايعوا رسول الله . فلما كان الموسم التالي
على البيعة الثانية ، حضر من الأوس والخزرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان
وبايعوا الرسول البيعة الكبرى التي تمت بعدها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى
المدينة المنورة حيث كتب للإسلام أن ينتشر والدعوة أن تتم .

(١) ابن هشام ج ١ ص ٤٢٠ الروض الأنف ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) السهيلي : ص ٢٩٧

(٣) العاقول ج ١ ص ٢٢٣ .

XXXXXX

بسم الله الرحمن الرحيم



مساجد في السيرة النبوية العطرة

وخير ما نستهل به مساجد السيرة النبوية العطرة ، هو موقع المعجن بالكعبة المشرفة : والمعجن هو المكان الذي كان ابراهيم واسماعيل يضعان فيه (مواد « أو مونه » بناء الكعبة) وهو عبارة عن جزء مقعر بعض الشيء يقع في قرب نهاية الضلع الشرقي للكعبة من الجهة الشمالية .

ويعتبر مكان المعجن أول مكان سجد فيه محمد صلى الله عليه وسلم لله سبحانه وتعالى عندما فرضت عليه الصلاة ، وكان ذلك قبل هجرته بعام وقيل بعام ونصف . فقد ورد في السيرة العطرة ، انه عندما فرضت الصلاة على رسول الله ، أتى جبريل عليه السلام بالرسول إلى الكعبة وفي مكان المعجن علمه كيف تؤدي الصلاة ومن ثم فقد أصبح أول مكان سجد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فرضت عليه الصلاة ، ومن ثم فقد كان عليه السلام كثيراً ما يلجأ إليه ويصلي فيه ركعتان ، عندما يكون في ضيق ويرجو أن يفرج الله كربته . وقد ورد في السيرة العطرة ، أن الرسول قال للسيدة عائشة رضوان عليها ، إذا كنت يا عائشة في ضيق وكنت صادقة النية ، ولا تدري لهذا الضيق مخرجاً ، فاذهبي إلى المعجن واسجدي لله ركعتين فلا تغادر إلا وقد فرج الله كربك .

ولعل من الأحداث التاريخية الهامة التي نستشهد بها في هذا المجال . ما حدث للسلطان عبد الحميد الأول ، سلطان الدولة العثمانية سنة ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م .

من المعروف ان السلطان الظاهر بيبرس قد أحيا الخلافة العباسية بعد سقوطها في العراق على يد التتار (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) وذلك باحضار أحد أحفاد العباسيين الذين فروا من وجه التتار ونصَّبه خليفة في مصر وذلك (٦٥٩هـ / ١٢٦١م) وهكذا ظلت الخلافة العباسية باقية في مصر حتى استيلاء الدولة العثمانية على مصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، وأخذهم آخر خلفاء العباسيين إلى القسطنطينية . ولكن الخليفة أتى ببعض الأعمال لم يرض عنها السلطان سليم الأول فحبسه وجرده من لقب الخلافة ، ثم أدخل سبيله في عهد ولده سليمان ، وفي عهد سليم الثاني سمح له بالعودة إلى مصر حيث توفي (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) وبذلك انتهت الخلافة الإسلامية تماماً .

ظل العالم الاسلامي قرابة قرنين ونصف من ٩٤٥هـ حتى ١١٨٨هـ / ١٥٣٨-١٧٧٤م وليس به خليفة حتى حدث الآتي . لقد برزت أهمية الخلافة الاسلامية على مسرح السياسة الدولية في عهد السلطان عبد الحميد الأول ، عندما وقع على معاهدة الصلح مع روسيا (١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) وهي المعروفة باسم (كوشك كينارجي) بينه وبين الامبراطورة كاترين الثانية والتي نص فيها بحق كاترين في حماية المسيحيين الارثوذكس القاطنين في أراضي الدولة العثمانية ، ومن ثم كان على عبد الحميد ان يكون له مثل هذا الحق بالنسبة للمسلمين ، لكن ذلك لن يتأتى له إلا إذا كان خليفة للمسلمين . فاشارت عليه بعض حاشيته من رجال الدين أن يذهب إلى مكة لعله يجد له مخرجا . وكانت حادثة صلاته بالمعجن ومصافحه سدته الكعبة بعد الصلاة بقولهم له حرما يا خليفة رسول الله .

فلما رجع السلطان عبد الحميد إلى القسطنطينية طالب باعتباره خليفة رسول الله بحقه في حماية المسلمين ، كما طالب بحقه في منح تفويض لوالى القرم بالحكم وتعيين القضاة والمفتين . ومنذ ذلك الحين بدأ سلاطين الدولة العثمانية يدركون أهمية لقب الخلافة بالنسبة لسياستهم الخارجية والداخلية على حد سواء .

التعريف بالمسجد

المسجد بالكسر اسم لمكان السجود ، والمسجد بالفتح جهة الرجل حيث يصيبه السجود والمسجد بكسر الميم الخُمرة وهي الحصير الصغير^(١) . وهناك أحاديث متواترة أخرجها الحفاظ في كتب السيرة والفقهاء كالشيخين في الصحيحين والبيهقي^(٢) ، تدل على أن النبي كان يصلي على الخُمرة ، وهي حصيرة صغيرة قدر ما يسجد عليه ، تنسج من السعف ، ففي الحديث لأم سلمة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها : ناوليني الخُمرة . وجاء في تاج العروس : « يقال صلى فلان على الخمره ، لأن خيوطها مستورة بسعفها . ويقول الشهرستاني^(٣) في وصف الخمرة هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصير ، أو نسيجة خوص ونحوه من النبات . ثم يضيف ، ولا تكون الخمرة إلا في هذا المقدار ، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها . أما عن المسجد شرعاً ، فهو الموضع الذي يسجد فيه ، قال الزركشي^(٤) وكذا الزجاج ، كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد ، لقوله صلى الله عليه وسلم : وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وفي هذا يقول القاضي عياض^(٥) ، وهذا من خصائص هذه

(١) التصحيف للعسكري .

(٢) السنن للبيهقي ج ٣ ص ٤٢١ .

(٣) الملل والنحل ص ٦ .

(٤) أعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٢٧ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٧ .

الامة ، لأن من قبلنا ، كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته . وقال القرطبي : هذا ما خص الله به نبيه ، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة ، كالبيع (جمع بيعة) وهو معبد اليهود والنصارى . وكان عيسى عليه السلام يسبح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة « ويعلق الزركشي على ذلك فيقول : فكأنه قال : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وجعلت لغيري مسجداً ولم تجعل له طهوراً » وهذا هو الظاهر من حديث جابر وأبي هريرة في عهد الطهور والمسجد في حكم الواحد .

ويفسر الزركشي السبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة فيقول : لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقليل : مسجد ولم يقولوا مركع ، ثم أن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلي المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه ، وكذلك الرُّبُط والزوايا والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك .

أما لفظ الجامع فوصف للمسجد الكبير ، فقد قال هشام بن عمار : لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك وكتب إلى أمراء أجناد الشام ، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده .

يتضح لنا من هذا النص أن الجامع هو المسجد الذي تؤدي فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع . ولما تأسست الدولة الأموية أصبح المسجد الجامع يشكل ظاهرة سياسية على جانب كبير من الأهمية ، فقد كان على كل أمير أو عامل من عمال الأقاليم إقامة مسجد جامع يمثل مسجد الدولة الرسمي . وإذا عرفنا أن ذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة في المسجد الجامع يكون شارة من شارات الخلافة ، وأن عدم ذكر اسمه يعني خلعه ، تبين لنا الدور السياسي بالإضافة إلى الدور الديني الذي كان وما يزال يلعبه المسجد الجامع .

ولعل أبرز فروع الفن الإسلامي التي تأثرت بالجانب الروحي ، هي العمارة ، التي عنى المسلمون الأوائل أن تكون مهمتها الأولى خدمة الدين ، ومن ثم فقد تطورت العمار الدينية تطوراً سريعاً سائر ركب الحضارة الإسلامية الفتية ، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعاً لتعدد وتغير وظائفها .

وقد بدأت العمارة الإسلامية ببناء المساجد والأربطة والمدارس والمصليات والخوانق والأسبلة والتكايا . على أننا إذا أردنا أن نتبع تطور العمارة الإسلامية وجدنا المسجد حجر الزاوية فيها .

ولقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين في مريد التمر الذي بركت فيه ناقته . وكان بناؤه بدائياً بسيطاً ، وكانت مساحته 70×60 ذراعاً وجدرانه من اللبن ، سقف جزء منه بسعف النخل وترك الجزء الآخر مكشوفاً وجعلت عمد المسجد من جذوع النخل .

وقد نهج المسلمون هذا المنهج في بناء مسجد البصرة سنة ١٤ هـ ومسجد الكوفة سنة ١٧ هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص هذه السنة في بناء مسجده في مدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ . وكانت مساحته وقت إنشائه 50×30 ذراعاً ، جدرانه من اللبن وأعمدته من جذوع النخل ، وتسوده البساطة .

وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجدوفة ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبراً في مسجده ، كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب يأمره بكسره قائلاً له : « أما يكفيك أن تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقيبك » فكسره .

ولم يقتصر اتباع السنة في ذلك الوقت على بناء المساجد فحسب بل تعداه إلى الدور والمنازل ، فقد حدث بعد وقوع الحريق بمدينة الكوفة أن أرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب وفداً يستأذنه في البناء باللبن فقال عمر : « افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا في البناء والزموا السنة تلتزمكم الدولة » .

وكان المسلمون في العصر الإسلامي الأول لا يقتصرون على استعمال كلمة المسجد لأماكن العبادة بل كان يؤدي عدة وظائف أخرى لعل أهمها الناحية الثقافية . ففي أروقته وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والإرشاد . كما كانت تعقد فيه الجلسات لفض المنازعات الدينية والمدنية . كذلك كان به بيت المال كما كان الحال في المسجد الأموي وجامع عمرو وفيه كان جلوس متولى الحسبة .

من هذا يفهم أن المساجد في العهد الأموي وأوائل العصر العباسي على أقل تقدير . كانت تمثل دور الحكومة في مفهومنا الحديث إلى جانب وظيفتها الأساسية الدينية . وبديهي وقد أصبح المسجد يؤدي خدمات ووظائف متعددة تختلف باختلاف الشعوب والبيئات . أن تتعدد الأساليب المعمارية في بناء المساجد وأن اتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية وجوهرها . فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجري تحتوي على صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هي رواق القبلة لأهميته . كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة وفي كثير من الأحيان على مئذنة .

أما تخطيط المسجد . فكان غالباً مربعاً في العراق وإيران . ومستطيلاً في مصر والشام وشمال أفريقيا . وتعليل ذلك سهل ميسور . فأماكن العبادة السابقة على الإسلام في بلاد ما بين النهرين كانت ذات تخطيط مربع ونعني بها (الآتش جاه) أي بيت النار . أما في غرب العالم الإسلامي حيث كانت تسوده المسيحية فكانت كنائسهم معظمها ذات تخطيط مستطيل .

أما في العصر العثماني فقد اختلف تصميم المساجد اختلافاً كبيراً عن العمارات الدينية السابقة فلا هو تصميم مسجد ولا هو تصميم مدرسة . وهنا لا نستطيع القول أن الوظيفة هي الدافع في تغيير تخطيط المساجد العثمانية بل هو دافع سياسي أرادت به الدولة العثمانية صبغ الولايات التابعة لها بتبعية فنية لتأكيد التبعية السياسية .

فقد اتخذ العثمانيون من طراز المصليات السلجوقية في القرن الخامس الهجري

أساساً لعمايرهم الهامة^(١) . وكان قوام التخطيط العثماني هو القبة الكبيرة المبنية من الحجر عادة وتحيط بها من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة ايوانات محمولة على أكتاف تعلوها قباب ضخمة . ومن أحسن الأمثلة لذلك مسجد سنان باشا ومسجد محمد علي بالقلعة الذي يعتبر نسخة من مسجد السلطان أحمد بإسطنبول .

ومن العماير الدينية الأخرى في العصر العثماني غير المساجد التكايا التي حلت محل الخانقافات في العصر العثماني ، إذ أنها تؤدي نفس الوظيفة أي أنها خاصة بإقامة المنقطعين للعبادة ، ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت خاصة بإقامة العاطلين من العثمانيين الوافدين على البلاد ، ومن هنا قيل عنها إنها مأوى تنابل السلطان ، أي الكسالى الذين لا عمل لهم .

أما من حيث التخطيط فهي مجموعة من الطرز والأساليب المعمارية ، فهي أساساً تشبه تخطيط المنزل الإسلامي ذي الصحن المتسع وتحيط به مجموعة من الايوانات والقاعات المتسعة ومسجد . وبالأدوار العليا توجد غرف للمبيت ثم يلحق بالتكية ودورات مياه ومنزل لشيخ التكية .

(١) نجد وصفاً مفصلاً لمصل بارسان بالقرب من أصفهان للمقدس في كتاب « أحسن التقاسيم » .

موقف الرسول أو مسجد الكوع

ومن الأماكن التي يستحب فيها الدعاء في الطائف موقف (مكان) بجبل أبي زبيدة في طريق الذهاب إلى (وج) من جبل يقال له قرين^(١). وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد الموقف أو كما يطلق عليه الآن أهل قرية الخدام^(٢)، مسجد الكوع. وقد جاء في تحفة الطائف^(٣) «ومنها موقف عند وج يقال إنه وقف عنده صلى الله عليه وسلم وعنده شجرات سدر وشجرة ذكار وحماط. وإلى ناحية هذا الموقف بثريقال إن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من مائها. ويجانب الموقف حظيرة يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها».

ووج التي عندها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وادٍ بالطائف^(٤)، وينقل العبدري في كتابه بهجة المهج عن أبي الصيف اليمنى في وصفها فيقول: ثم يدخل قرية (وج)، ويقال إنه صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التي وسط القرية. «ومن

(١) ابن العجمي: من أخبار الطائف ص ٨٢.

(٢) هي اليوم من أحياء الطائف، وكانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قرية تعرف بأمر نخبز، ثم عرفت بعد ذلك باسم قرية الخدام لكن خدام ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنها، وهي في جبل وتحتها مزارع وبساتين وآبار (الزرخلى).

(٣) تحفة الطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف تأليف محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي. مخطوطة رقم (١٥) في مكتبة الحرم المكي، ونسخة أخرى بدار الكتب بالقاهرة رقم (٨١٠٣).

(٤) القاموس ج ١ ص ٢١٨.

نواحي وج الهامة (الخَبْزَة)^(١) ، وهذا الوادى ونواحيه جميعها محرم كحرم مكة لا ينفر صيده ولا يعضد شجره .

ومسجد الموقف أو الكوع ما يزال موجوداً حتى الآن بوادى وج وقد زرته حديثاً في سنة ١٣٩٨ هـ ، وإن كان بناؤه يرجع إلى عهد حديث لعله يرجع إلى القرن الماضى ، ولكنه أقيم في نفس الموقف الذى أشارت إليه المراجع السابقة .

وهو عبارة عن زاوية صغيرة تبلغ مساحتها ثمانية أمتار طولاً وسبعة عرضاً وتتقدمها ساحة مكشوفة تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولاً وأربعة عرضاً . وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولاً في أربعة أمتار عرضاً يفصل بينهما جدار مبنى يتوسطه باب معقود تبلغ سعته متراً وارتفاعه متران يكتنفه نافذتان صغيرتان معقودتان الشرقية منها سدت حديثاً .

والجزء الجنوبي من الزاوية يحتوى على مدخل الزاوية ، الذى تقع فيه النافذة هو والباب المعقود والجدار الفاصل بين القسمين السابق الإشارة إليه وكذا محراب الزاوية على محور واحد . ويحتوى الجدار الجنوبي للمسجد من الخارج على حنية عميقة بعض الشيء تقع إلى الشرق من المدخل الرئيسى للمسجد . وفي اعتقادى أنها محراب خارجى يمكن استعماله إذا ما ضاق المسجد بالمصلين وصلوا في الساحة التى تتقدمه .

وإلى جانب المحراب الخارجى من الجهة الشرقية توجد حنية مربعة الشكل ويحيط بالساحة التى تتقدم المسجد سور صغير يبلغ ارتفاعه متراً مكون من أربعة مدايميك من الحجر الجيرى المأخوذ من الجبال المجاورة . ويحتوى السور على فتحتين أحدهما فى الضلع الجنوبي منه والثانى فى الضلع الغربى ، يصعد إليهما بمجموعة من الدرجات حيث إن المسجد على سطح جبل قريب من أسفله .

أما القسم الثانى الذى يقع إلى الشمال من الجزء الأول فيوجد فى وسط ضلعه

(١) العبدري : بهجة المحج في بعض فضائل الطائف ووج ، عن عنطوطه (زيارة الطائف) لحمد بن إسماعيل بن على بن أبى الصيف اليمنى (وهى مفقودة) .

الشمالي محراب المسجد . ويتكون المحراب من تجويف عميق نسبياً ويكتنفه حنيتان صغيرتان تقعان على محور النافذتين في الجدار الفاصل بين القسمين السابق الإشارة إليهما . وتوجد في الضلع الغربي لهذا القسم نافذة معقودة . ويغطي المسجد سقف مسطح مكون من أعمدة وألواح خشبية حديثة الصنع . ويرتكز السقف على دعامة مربعة يبلغ طول ضلعها (٨٠ سم) وارتفاعها ثلاثة أمتار وهو ارتفاع جدران المسجد . وعلى الجملة فإن المسجد بسيط وخلو من الزخرف ولكنه يحتوى على كل مقومات المساجد من الناحية المعمارية .

مسجد الخبزة

ويقع هذا المسجد عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزة . ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عدّاس بطبق العنب^(١) . ويعلق العجمي^(٢) على تاريخ المرجاني فيقول « وفيه نظر ، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم عمداً إلى ظل حيلة من عنب فأتاه عداس بالطبق ، لكنه يحتمل أنه جلس في ظلها ثم تحول إلى السدرة المذكورة .

ويضيف العجمي على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا إن صح دليل على أن البستان الذي عندها هو حائط ابن ربيعة الذي دخله صلى الله عليه وسلم . على أن هذه السدرة لم أجد (أي العجمي) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمشاهة عند العين ، فقد قيل إنها من عهده صلى الله عليه وسلم وإن المسجد الذي عندها هو الذي جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عداس .

ويقع المسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) في بساتين في وج عند أقدام (أم خبز) وهو مربع الشكل تقريباً يبلغ طول ضلعه (١٢) متراً . ويحيط بالمسجد من جهتين فقط

(١) تاريخ المرجاني .

(٢) العجمي : في تاريخ الطائف ص ٨٣ (المتوفى سنة ١١١٣ هـ) .

صحن مكشوف الجهة الشرقية والجنوبية ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار . ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول ضلعه تسعة أمتار . ويوجد المحراب في الضلع الشمالى للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجى بمقدار متر تقريباً .

وهو مسجد جامع إذ يحتوى على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوى على مثناة تقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجامع على يمين المدخل الرئيسى للجامع . وتتكون المثناة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهى بطاقية ، فهى بذلك تشبه طراز المآذن التى بنيت فى مصر واليمن فى القرن السابع الهجرى ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكى . ويقع المدخل الرئيسى للجامع فى الضلع الجنوبى قريباً من الركن الشرقى للجامع ، ويعلوه عقد ذى ثلاثة فصوص ويعلوه عتبة كتابة محصورة فى (بحر عريض) زالت الآن .

مسجد عدّاس

يقع على الأطراف الغربية لبساتين (وج) عند سفح جبل يقال له أبو الأخلية ، وكان في الأصل معبداً لعداس ، فلما أسلم - وهو كما نعلم أول من أسلم في الطائف - أقيم مكانه مسجد عرف بمسجد عداس أو مسجد المثناه . وجاء في تحفة اللطائف عند الحديث عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم « ومن المآثر أيضاً موقف (بوج) بالقرب من جبل يقال له قرين في سفح جبل يقال له أبو الأخيلة معبد لعدّاس ، وهو في مسجد المثناه . وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد عدّاس » .

والمسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) مسجد جامع إذ يحتوى على منبر إلى يمين المحراب كما يحتوى على مئذنة . والجامع مجدد حديثاً .

وإلى الغرب من مسجد عداس وبالقرب منه جامع آخر يقع على سفح جبل قرين يرجع إلى العصر العثماني يطلق عليه مسجد المثناه .

مسجد بيعة العقبة بمنى بمكة المكرمة

من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل حتى بعد حادثة الإسراء والمعراج ، يدعو إلى دين الله ويأمر به كل من لقيه وراه من العرب إلى أن قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف من الأوس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يرفض ولم يجب ، ثم انصرف إلى يثرب وقتل في بعض حروبهم^(١) . كما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أبا الحيسر أنس بن رافع الذي قدم مكة في قتيبة من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف^(٢) فقال رجل منهم اسمه أيانس بن معاذ وكان شاباً ، يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له ، فضربه أبو الحيسر وانهزه فسكت ، ثم لم يتم لهم حلف فانصرفوا إلى بلادهم .

وفي الموسم التالي للحج لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وهي موضع على يسار الطريق القاصد من منى إلى مكة ، ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج^(٣) فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال بعضهم لبعض ،

(١) كان قتله قبل يوم بعث كما جاء في ابن هشام نقلًا عن ابن أسحق ج ٢ ص ٦٩ ، ابن عبد البر في الدرر ص ٧٠ (هامش رقم ٢) .

(٢) المقصود بالحلف هنا هو حلف قريش على بني الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، فقد كانت الحرب والمعارك قد اضطربت بين القبيلتين .

(٣) كانت بينهم سيدة هي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

هذا والله الذى تهددكم به اليهود فلا تسبقون إليه فأسلموا به وبايعوا . ثم أجابوا الرسول قائلين « إنا قد تركنا قومنا بيننا وبينهم حرب فننصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فعسى الله أن يجمعهم بك . فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك » وانصرفوا إلى المدينة ، فدعوا إلى الإسلام حتى فشى فيهم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه بيعة العقبة الأولى ^(١) سنة ٦٢١ م .

وفى موسم الحج الذى يلى بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢ م خرجت جماعة كبيرة ممن أسلم من الأنصار يريدون لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى جملة قوم كفار منهم لم سلموا بعد فوافوا مكة فواعدوا ، الرسول عند العقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما كانت تلك الليلة خرجوا فى ثلث الليل الأول متسللين من رحاهم إلى العقبة ، فبايعوا الرسول عندها على أن يمنعه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه . وحضر العباس عم الرسول ، العقبة تلك الليلة متوثقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤكداً على أهل يثرب ، وكان يومئذ على دين قومه لم يسلم .

وكان العباس أول من تكلم فقال : « يامعشر الخزرج إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وقد أبى إلا الإنحياز إليكم والحق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له فيما دعوتوه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك . وإن كنتم منسلميه وخاذليه بعد خروجه إليكم فمن الآن فدعوه » .

قال اليثريون « سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فأجاب محمد صلوات الله عليه ، بعد أن تلا القرآن ورغب فى الإسلام :

(١) ابن عبد البر - (لدرر ص ٧٠) وقد سمي ابن هشام فى ج ٢ ص ٧٣ العقبة الثانية باسم العقبة الأولى كأنه لم يعقد بالعقبة الأولى . وانظر أيضاً سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٧ ، الطبرى ج ٢ ص ٣٥٥ ، صحيح البخارى ج ١ ص ٨ ، ج ٥ ص ٥٤ ، ابن حزم ص ٧١ ابن كثير ج ٣ ص ١٥٠ ، ابن سيد الناس ج ١ ص ١٥٦ ، النويرى ج ١٦ ص ٣١٢ .

« أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فقد البراء بن معرور سيد قومه وكبيرهم يده على ذلك وقال : « بايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر » .

وكان المبايعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة أو البيعة الكبرى سبعين رجلاً وامرأتين .

وفي العام الذي يلي العقبة الأولى قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الذين حضروا البيعة الأولى ، وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء^(١) ، ولم يكن أمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا بعث الرسول ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام . فأسلم على يد مصعب خلق كثير من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها مسلمون . ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة ، وهذه هي بيعة العقبة الثانية .

(١) تعقيب ابن عبد البر على هذه البيعة باسم بيعة النساء ، أى أنهم لم يبايعوه على القتال فهي بيعة كيبيعة النساء حينئذ على الدخول في الإسلام ص ٧٢ هامش (٥) تحقيق شوقي حنيف .

وصف مسجد البيعة

يقع مسجد البيعة بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة وراء العقبة في شعب على يسار الداهب من مكة إلى منى وكما كانت منى تقع إلى الشمال الشرقى من الكعبة المكرمة لذلك فإن حائط القبلة لمسجد العقبة يقع في الضلع الجنوبي الغربى منه . وتجمع المراجع^(١) التاريخية التي تناولت دراسة مكة المكرمة والمسجد الحرام . على أن مسجد البيعة سمي بهذا الاسم ، لوقوعه في شعب العقبة حيث التقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج ، وتمت البيعات الثلاث على تفصيل ما سبق .

ونخص بالذكر بعض تلك المراجع التي أشرنا إليها ، بيعة العقبة الكبرى وهي التي تمت بحضرة العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام . وفي اعتقادنا أن هؤلاء المؤرخين إنما خصوا بالذكر البيعة التي حضرها العباس ، ذلك أنه لم يكن أحد بإقامة مسجد في تلك البقعة قبل الدولة العباسية التي أرادت أن تبرز دور العباس ،

(١) الأزرقي : أخبار مكة وما جاء بها من الآثار - تحقيق رشيد مالحس ج ٢ ص ٢٠٥ ، حب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤ . ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف في فصل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٣٣ . تقى الدين الفاسي : شفاء الغراء بأخبار بيت الله الحرام . قطب الدين الحنفى : كتاب الإعلام في أعلام بيت الله الحرام . إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٢٧ . طاهر الكردي : كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ج ١ ص ٣٠٠ .

الذى تنتسب إليه واستمدت منه أحقيتها في الخلافة ، في توطيد أركان الدين الإسلامى بالمشاركة في بيعة العقبة الكبرى التى كان لها أثر أى أثر في تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولعل المؤرخ الوحيد الذى أرخ لمسجد العقبة ووصفه وإن كان وصفاً موجزاً هو تقي الدين الفاسى^(١) من علماء القرن التاسع الهجرى فقد توفى سنة ٨٣٢ هـ . فقد جاء وصفه ، أن المسجد بقرب العقبة التى هى رحد منى من جهة مكة ويبلغ طوله (٣٨.١٦) ذراعاً^(٢) بذراع الحديد ، وأن به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود . وإن له الجهة الشمالية والجهة الجنوبية . ويصف تقي الدين الفاسى حالة المسجد في عهده أى في القرن التاسع الهجرى فيقول : إن المسجد مُخَرَّب الآن وأن فيه حجرين مكتوب في أحدهما (أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بينان هذا المسجد مسجد البيعة التى كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقد عقده له العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

وفي الحجر الثانى كما يقول الفاسى ، تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى في سنة ٢٤٤ هـ . ويؤرخ تقي الدين الفاسى لمنشئ هذا المسجد فيقول « وأمر المؤمنين المشار إليه هو أبو جعفر المنصور العباسى ، وعمره أيضاً المستنصر العباسى . ويؤكد الفاسى عمارة الخليفة المستنصر لمسجد البيعة فيقول « ووجدت ذلك في حجر ملق حول المسجد لتخربه وفيه أن ذلك (أى ذلك التعمير كان) سنة ٦٢٩ هـ .

ونحن إذ نتفق مع تقي الدين الفاسى على أن مسجد البيعة قد أنشئ في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء الدولة العباسية ، ومن المرجح أن يكون ذلك قد تم عندما جاء إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج وبعد ما تمت العمارة التى أمر بها بيت الله الحرام سنة ١٤٠ هـ أمر بإنشاء مسجد البيعة . أقول نحن لا نتفق مع الفاسى على أحد الحجرين الموجودين بالمسجد ، ذلك أن سنة ٢٤٤ هـ لا تقع في حكم أبى جعفر

(١) ذراع الحديد : مقياس استعمل في العصر الإسلامى ومقداره (٥٦.٥ سم) وعلى ذلك يكون طول المسجد في القرن

(٩) هـ (٢٠.٥) متراً تقريباً .

(٢) الفاسى : شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام .

المنصور بل تقع في حكم الخليفة المتوكل . على أنه من الثابت أن الخليفة المتوكل لم يتم
بعمل عمراني في المسجد الحرام أو في مكة المكرمة ، الأمر الذي قد يرجع معه أنه قام
بتعمير مسجد البيعة ، إذ من المتفق عليه أن الخليفة العباسي الذي قام بعمارة المسجد
الحرام بعد الخليفة المهدي هو المعتمد العباسي سنة ٢٧١ هـ .

فقد ذكر بإسلامه نقلاً عن الفاسي ، أنه حدث في عصر الخليفة المعتمد أن
انهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد فلما رفع أمير مكة يومئذ هارون ابن اسحق ذلك
الأمر إلى بغداد أمر الموفق بالله أخو الخليفة بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وقد تم ذلك
في سنة ٢٧٢ هـ وركب لوحين من الحجر في جدار المسجد الحرام إلى جوار باب إبراهيم
نقش عليها اسم الموفق ولي عهد المسلمين وتاريخ التعمير^(١) سنة ٢٧٢ هـ . وقد ذكر
قصب الدين^(٢) الحنفي أن الحجرين لا وجود لهما في عهده أي في نهاية القرن العاشر
الهجري ذلك أن قطب الدين قد توفي سنة ٩٨٨ هـ . وقد ذكر قطب الدين أنه نقل
الكتابة المنقوشة على الحجرين في كتابة الإعلام من كتاب تاريخ مكة للإمام أبي
عبد الله محمد بن اسحق الفاكهي .

ومن العمارات التي قامت بها الدولة العباسية ، هي زيادة دار الندوة^(٣) في عهد
الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ ، فقد وصل إلى علم كتاب الخليفة الوزير عبد الله بن
سليمان بن وهب من سدة الكعبة ، أن جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وأن الرخام
المفروش في أرضها قد تكسر ، وإن الذهب الذي كان يكسو عضاضتي والمصفتح الذي
به باب الكعبة من أسفل ومن أعلى قد أخذ وجعل بدلاً منه فضة موهة بالذهب .
فدفع ذلك كله إلى الخليفة وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة إليها ، فأمر الخليفة
المعتضد بإجراء كل ذلك . وقد ذكر علي^(٤) بن عبد القادر الطبري تاريخ الفراغ من
تلك العمارة بقوله « وفرغ من عمارتها في ٢٨٤ هـ » .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، حسين عبد الله باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام (تحقيق
عبد الجبار) ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) قطب الدين : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٥٣ .

(٣) الفاسي : ج ١ ص ٢٣٢ . باسلامة : ٧٢ .

(٤) الحافظ نجم الدين : انحاف الوري بأخبار أم القرى ص ٧٦ .

أما آخر عمارة تمت في عهد الدولة العباسية فهي زيادة باب إبراهيم ، فقد ذكر الحافظ نجم الدين في حوادث سنة ٣٠٦ هـ ، وفيها زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى في الجانب الغربي سبعة وخمسين ذراعاً إلا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة اثنان وخمسون ذراعاً وربيع ذراع . ولكن لم يذكر الحافظ نجم الدين اسم الخليفة التي تمت في عهده ، وإن كان قد ذكره قطب الدين ، فقال : ومن جملة محاسن الخليفة المقتدر بالله العباسي أنه زاد في المسجد الحرام زيادة باب إبراهيم . ويؤيد هذا قول بإسلامه فيقول : « هذا منتهى ما بلغت إليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتداء بزيادته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زيادة المقتدر بالله العباسي الذي تقدم ذكره (باب إبراهيم) . ثم يختم بإسلامه الإصلاحات والزيادات التي تمت في العصر العباسي فيقول « وإلى هنا (أي سنة ٣٠٦) قد انتهى عمل خلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام من زيادة وإنشاء فجزاهم الله تعالى عن حسن أعمالهم خير الجزاء » (١) .

من هذا السرد التاريخي الموجز لما تم من أعمال معمارية من زيادة وإصلاح وترميم يتضح لنا إن لم تذكر المراجع شيئاً عن أي عمارة قام بها خلفاء الدولة العباسية بعد أوائل القرن الرابع الهجري سنة ٣٠٦ هـ . ومن ثم فإننا نقف في حيرة أمام ما ذكره تقي الدين الفاسي عند حديثه عن مسجد البيعة إذ قال « وعمره أيضاً المستنصر العباسي ، ووجدت ذلك في حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك سنة ٦٢٩ هـ » . وكل الذي يمكن أن نرجحه بالنسبة لهذه اللوحة التذكارية ، أن الخليفة المستنصر العباسي لم يقم بعمارة تذكر في المسجد الحرام ، اللهم إلا عمارة الرخام في الحرم المكي التي ذكرها الجزيري (٢) في عبارة مؤكدة ، فقال « وفي سنة تسع وعشرين وستمائة في غالب الظن من قبل المستنصر العباسي » .

وفي اعتقادي أن تقي الدين الفاسي لولا رؤيته وقراءته للوحة التذكارية الملقاة حول المسجد والمسجل عليها اسم الخليفة العباسي وتاريخ التعمير سنة ٦٢٩ هـ لما حرص

(١) بإسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٧٩ - ٨٠ .

(٢) عبد القادر الأنصاري الجزيري : درر الفوائد ص ٢٠ .

على ذكر هذه العمارة أيضاً ، خاصة وأنه المؤرخ الوحيد الذى عنى عناية خاصة بوصف مسجد البيعة^(١) .

وعند زيارتي لمسجد البيعة سنة ١٣٩٠ هـ / سنة ١٩٧٠ م وجدت أن مسجد البيعة ما يزال يحتفظ حتى الآن بلوحين تذكاريين أعتقد أنهما نفس اللوحين الحجريين اللذين رآهما تقي الدين الفاسي سنة ٨٣٢ هـ ولأن كنت أعتقد أنهما ليسا في موضعهما الأصلي ، فقد وجدت أحدهما في حائط القبلة من الخارج داخل إطار نافذة الحنية اليمنى للمحراب والآخر في الضلع الجنوبي الشرقى للمسجد .

وصف اللوح الأول : لوحة رقم (١) :

يقع هذا اللوح في الضلع الجنوبي الغربى لمسجد البيعة من الخارج ، أى في ظهر جدار القبلة ، واللوح موضوع داخل عقد نافذة مسدودة في الحنية اليمنى للمحراب المكون من ثلاث حنيات ، مما يدل على أن اللوح نقل من مكانه الأصلي ووضع في المكان الخالى . ويبلغ مقاس اللوح ٩٣ سم × ٥٧ سم ، وقد حفر عليه حفراً بارزاً ، بالخط الكوفى البسيط ، يرجع إلى القرن الثانى للهجرة فى خمسة عشر سطراً النص التالى :

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم أمر عبد
- ٢ - الله عبد الله أمير المؤمنين أد (١)
- ٣ - مه الله ببنيان هاذا (كذا) المسجد
- ٤ - مسجد البيعة التى كانت أول بيعة
- ٥ - بويج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٦ - وسلم أول عقد عقده الله فى إلا
- ٧ - سلم عقد عقده له العباس بن
- ٨ - عبدالمطلب تلك الليلة لرسول
- ٩ - الله صلى الله عليه وسلم على ألا تصادوا

(١) ذكرت هذه العمارة أيضاً فى مرآة الحرمين ج ١ ص ٣٢٨ نقلاً عن الفاسي .

- ١٠ - هذا المسجد (و) أن تصدقوا رسو
- ١١ - ل الله صلى الله عليه وسلم بما جا هم به من الله وا
- ١٢ - ن تسمعوا له وتطيعوا وتمنعوه مما
- ١٣ - تمنعوا منه أنفسهم (كذا) وأبناءهم (كذا) أعظم
- ١٤ - الله أجر أمير المؤمنين على بنيانه وعمر
- ١٥ - ته اياه (و) ورسول الله صلى الله عليه وسلم .

اللوحة الثانية : للوحة رقم (٢) :

- ١ - أمير أمر عبد الله عبد الله
- ٢ - أمير المؤمنين أكرمه الله
- ٣ - بينان مسجد البيعة لحاج
- ٤ - بيت الله المبارك على يدي
- ٥ - الحارثي بن عبيد (١٦) الله في سنة
- ٦ - أربع وأربعين ومايه أعظم
- ٧ - الله أجر أمير المؤمنين وقـ
- ٨ - مدر أمته (على) حمل (كلمته)
- ٩ - وأحمد عليه .

الوصف المعماري للمسجد (شكل تخطيط ٩ ، ١١ ، ١١) :

يتكون المسجد من مستطيل تبلغ مساحته (٢٣) متراً طولاً في (١٣ ٨) متراً عرضاً ، يتوسطه صحن مكشوف . ويحتوى على رواقين أحدهما مواز لحائط القبلة في الجهة الجنوبية الغربية وتبلغ سعته (٤.٦) متراً . ويتكون الرواق من أربع دعائم مربعة تقريباً إذ تبلغ مساحة كل منها (٨٦ × ٧٦ سم) تعلوها خمسة عقود مدببة . فيما عدا العقد الأخير من الجهة الشرقية ، فعقدة (ذو زاوية منكسرة) (Keel- arch) . ومن الواضح أن هذا العقد قد رسم أو قوى فيما بعد ، الأمر الذي جعله مخالفاً لباقي عقود هذا الرواق . ويبلغ ارتفاع هذه العقود عن أرضية المسجد أربعة أمتار تقريباً (لوحة رقم ٣)

أما الرواق الثاني فيقع في نهاية المسجد موازياً للضلع الشمالى الشرقى ، وقد سقطت دعائمه وعقوده ولم يبق منه سوى شكل مصطبة ترتفع عن أرضية المسجد بمقدار ٢٥ سم تقريباً ويبلغ عرضها (٣.٦) متر . أما طولها فيبلغ (١١.٣) متر فقد قوى جانبيها الشرقى والغربى بجدران سائدة تبرز كل منها عن سمت جدران المسجد الجانبية بمقدار (١.٢٥) متر تقريباً .

وليس للرواقين الآن سقف اللهم إلا ارتفاع جدران الرواقين من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية بمقدار متر ونصف عن جدران الصحن (لوحة رقم ٣) . كما لا يوجد ما يدل على شكل هذه السقوف وإن كنا لا نستبعد ما ذكره تقي الدين الفاسى فى القرن التاسع الهجرى سنة ٨٣٢ هـ من أن كل رواق كان مغطى بأربعة قباب سقطت جميعها الآن ولم يبق لها أثر يمكن الاستدلال منه على شكلها ، كبداية أرجلها عند اتصالها بالدعائم أو مقرنصات الأركان أو شئ من هذا القبيل .

ويقع مدخل المسجد الآن فى الركن الجنوبى الغربى للمسجد ، يدخل منه إلى الرواق الموازى لحائط القبلة ، ومن الواضح أنه كان فى الأصل نافذة فتحت حديثاً لتحل محل الباب الأسمى خاصة وأنه يقابله فى الضلع المقابل أى الجدار الجنوبى الشرقى نافذة معقودة بعقد ممائل لعقد المدخل الحالى وفى نفس الرواق وقد سد جزء كبير منه ، ومن المرجح أن تكون الفتحتان المعقودتان اللتان فى الضلع الشمالى الغربى والجنوبى الشرقى هما المدخلان الرئيسيان للمسجد .

ويؤيد هذا الترجيح ما ذكره الفاسى من أن للمسجد بابين فى الجهة الشمالية والجهة الجنوبية . وقد سددت هذه الفتحات لتصدع الجدران كما سدت النوافذ الموجودة فى الضلع الشمالى الشرقى للمسجد اللتان تفتحان على المصطبة الحالية .

ويتوسط جدار القبلة محراب عميق مكون من ثلاث حنيات المتوسطة منها أوسعها وتبرز عن سمت جدار القبلة من الخارج وعلى جانبيها حنيتان صغيرتان ، والحنايا الثلاث معقودة . ويحيط بهذا المحراب ذى الثلاث حنايا عقد كبير مدبب منفرج يرتكز على دعائم سائدة تبرز كثيراً عن جدار القبلة . ويكتنف هذا المحراب ذا الحنايا الثلاث ، حنيتان عميقتان تعلوهما عقود مدببة ترتكز على نفس الدعامتين

الساندتين السالف الإشارة إليهما . وقد فتحت في هاتين الحنيتين نوافذ معقودة معظمها ولم يبق منها غير فتحات ضيقة غير منتظمة مما يدل على أنها فتحتان حديثتان . والمسجد مبنى من الحجر غير المشذب وقد كسيت الجدران بطبقة من الملاط الأبيض زال الكثير منها الآن . أما عقود النوافذ والفتحات وكذا الأروقة فبنية من الآجر بشكل زخرفى جميل . ويبدو أن جدران المسجد كان يعلوها شرفات سقط معظمها ولم يبق منها غير شرفات حائط القبلة التى يبلغ عددها ثلاث عشرة شرفة بسيطة الشكل . وقد قوى جدار القبلة من الخارج من أسفل بدعامتين ساندتين مستديرتين شكل ٩ ، ١٠ ، ١١ .

مسجد قباء بالمدينة المنورة

قال الله تعالى - في سورة التوبة - :

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِشَهَادَاتِهِمْ لَكَادِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وروى أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء ، وبعثوا للنبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه ، فحسداهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فقالوا : نبني مسجداً ونبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا فيصلى لنا كما صلى في مسجد إخواننا ، ويصلى فيه أبو عامر إذا قدم من الشام ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله قد بنينا مسجداً لدى الحاجة والعلة والليلة والمطيرة ، ونحب أن تصلى لنا فيه وتدعو بالبركة .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إني على سفر وحال شغل فلو قدمنا لأتيناكم واصلينا لكم فيه » . فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك أتوه وقد فرغوا منه

وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد ، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشياً قاتل حمزة فقال : « انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه » فخرجوا مسرعين ، وأخرج مالك بن الدخشم من منزله شعلة نار ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه ، وكان الذين بنوه اثنا عشر رجلاً : وهم خذام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الضرار ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأذعر ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية ابن عامر وابناه مجمع وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، ويخرج ، وسجاد بن عثمان ، ووديعه بنت ثابت ، وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم .

قال أبو عمر بن عبد البر : وفيه نظر ، لأنه شهد بدران . وقال عكرمة سأل عمر بن الخطاب رجلاً منهم بماذا أعنت في هذا المسجد ؟ فقال : أعنت فيه بسارية فقال : أبشر بها ! سارية في عنقك من نار جهنم .

تقدم لنا أنه لما سمع المسلمون بالمدينة ، بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة أول النهار فينتظرون فما يردهم إلا حر الشمس ، فبعد أن رجعوا يوماً أو في رجل من اليهود على أطمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مُبَيَّضِينَ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا بني قيلة - يعني الأنصار - هذا جدكم - أي حظكم - الذي كنتم تنتظرونه فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم وكان له مربد - الموضع الذي ييسط فيه التمر ليحفظ - فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناه مسجداً ، وكان يعمل فيه بنفسه ، ولم يزل يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه أهل قباء ، وكان يؤمهم فيه معاذ بن جبل ، ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه .

وفي صحيح البخاري ، كان سالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنها يؤم

المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر .

ولما اعتراه الخراب في خلافة عثمان بن عفان جدد وزاد فيه ، وبقي على ذلك إلى أن تولى عبد الملك بن مروان فزاد فيه أيضاً ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة في جوفها عمد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفسيفساء وعمل منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله أروقة وفي وسطه رحبة ، وتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير « بنى زنكي » ببلاد الموصل ، وذلك في سنة ٥٥٥ هـ . وجدد بعد ذلك سنة ٦٧١ إحدى وسبعين وستائة هـ ، وجدد بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣ ثلاث وثلاثين وسبعائة هـ ، وجدد غالب سقفه الأشرف برسباي سنة ٨٤٠ هـ ، وسقطت منارته سنة ٨٧٧ هـ ، فجددت في سنة ٨٨١ هـ . وكذلك جدد بعض جدره وسقفه وأنشئ إذ ذاك سبيل وبركة قبالة المسجد ، وقد عمر عدة مرات في زمن الدولة العثمانية وآخرها كان في مدة السلطان محمود الثاني ، وابنه السلطان عبد المجيد ، وتاريخ عمارة الأول مكتوب على حجر فوق باب المسجد .

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى .

وعن ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً ، ويصلي فيه ركعتين أخرجه الستة إلا الترمذي .

وروى مسلم أن عبد الله بن عمر كان يأتي قباء في كل سبت ، ويقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج حتى يأتي مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له كعدل عمرة - أخرجه النسائي .

وروى الطبراني ورجال ثقات عن الشموس بنت النعمان ، قالت : نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قباء . فرأيت

يأخذ الحجر أو الصخرة ، حتى يهصره أى يميله وأنظر إلى بياض التراب على بطنه وسرته
فيأتى الرجل من أصحابه فيقول : بأبى وأمى يا رسول الله أكفيك ، فيقول : لا - خذ
مثله ، حتى أسسه ويقول إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة ، قالت فكان يقال إنه
أقوم مسجد قبله .

ولعل هذا الحديث فى بناء غير البناء الأول بعد تحويل القبلة - فقد روى ابن شبة
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ورد قباء صلى بهم فى مسجد قباء إلى بيت المقدس ، ثم
روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال
جبريل يؤم بى البيت .

وروى أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا
وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطلق نحو
مسجد التقوى فانطلقنا نحوه فاستقبلنا ويداه على كاهلى أبى بكر وعمر . الحديث .

وعن محمد بن المنكدر مرسلأ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء
صبيحة سبع عشرة من رمضان ، ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلأ ، وفى
كتاب عن ابن المنكدر : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبح سبعة عشر من
رمضان ، وليحيى عن ابن المنكدر نحوه ، وهذا باقى إلى زماننا هذا ، ويقول الناس
لذلك العمرة .

وعن أبى غزية قال : كان عمر بن الخطاب يأتى مسجد قباء يوم الاثنين ويوم
الخميس فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يجد فيه أحداً من أهله فقال والذى نفسى بيده ،
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه وأبابكر ينقلان حجارتهم على
بطونهما حيث يؤسس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل عليه السلام يؤم به
البيت ، ويحلف عمر بالله لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف ، لضربنا إليه أكباد
الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سعة ، واجتنبوا العواهن أى ما يلى القلب من السعف ،
فقطعوا السعف ، فأتى بها ، فأخذ وذمة أى سيراً ، فربطها فمسحه فقالوا نكفيك يا أمير
المؤمنين فقال : لا تكفوني .

ولابن زبالة عن زيد بن أسلم قال الحمد لله الذى قرب منا مسجد قباء ولو كان بأفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الإبل .

ولابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، قالت : سمعت أبي يقول لأن أصلى فى مسجد قباء ركعتين أحب إلى من أن آتى بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما فى مسجد قباء لضربوا إليه أكباد الإبل ، ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد : سمعا أباهما رضى الله عنه يقول : سمعنا أبا هريرة يقول : لأن أصلى فى مسجد قباء أحب إلى من أن أصلى فى بيت المقدس ، قال الحاكم . إسناده صحيح على شرطهما .

وللترمذى عن أسيد بن أسيد بن ظهير الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : الصلاة فى مسجد قباء كعمرة ، قال الترمذى ، وفى الباب عن سهل حنيف . وحديث أسيد حديث حسن غريب . .

وهناك كثير من الكتابات الموجودة بمسجد قباء وفيما يلي نصها : -

١ - نص قرآنى أعلى المحراب بخائط القبلة (١) :

بسملة . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين (٢) .

٢ - حديث نبوى أعلى المحراب بخائط القبلة (٣) :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان كأجر عمرة .

(١) على بن موسى : وصف المدينة المنورة ص ٦ .

(٢) سورة التوبة آية (١٠٨) .

(٣) عبد الغنى الشهندر : رحلة الحجاز ص ٤٣ .

٣- نص أعلى المحراب المظل على الصحن^(١) :

بذا محل نزول الآية الفرقانية .
أسس آيتي ديرلر بوراده قليدى نزول .
قائم أول بونده كل أى مقتدى أثر رسول .

٤- نص قرآنى أعلى باب المسجد :

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :
﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ .

٥- نص تاريخى من ستة أسطر باللغة التركية العثمانية ترجمته على النحو التالى^(٢) :

ويعلو هذا النص طغرة السلطان محمود الثانى وأسفل النص توجد طغرة لعلها
للسلطان عبدالمجيد (صورة ١٢٥) : إمام المسلمين شاه جهان سلطان محمود خان :
الخلافة مختصة بذاته والكرم عادة فى طبعه .

ولما بلغه نبأ خراب عمارة الجامع : أسرع بأمر حسن إعماره بهجة للصالحين .
وكما قيل فقد نزلت آية بتأسيس هذا المسجد : وإن تجديده لشاهد على قدر
مجدده وصلاحه أدام الله هذا الجامع للعابدين الساجدين : وأدام بوجوده السيادة
المطلقة للدين والدولة .

كتبت هذا التاريخ ساجداً حامداً الله : كان هذا المسجد خراباً فجده السلطان
محمود خان المذنب الراجى عفوه (عفو ربه) : مصطفى عزت غفر الله ذنوبهما
١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) .

ومصطفى عزت هو المشرف على أعمال الإصلاح .

بومسجد اولدى ويران ايلدى محمود خان آباد ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م .

(١) نصوص تركية .

(٢) سورة التوبة آية (١٠٨) .

١ - نص على باب المدخل^(٣٨) وبعد ذلك وجد أعلى محراب الكشف :

بسملة . ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (سورة ٩ « التوبة » ١٨) . أمر بعمارة مسجد قباء الشريف أبو يعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن رضى الله عنه ابتغاء ثواب الله وجزيل عطائه .. على يد الشريف حسن المسلم بن عبد الله بن مساك في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (١٠٤١ م) .

٢ - نص أعلى محراب القبلة :

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ (سورة ٣ « آل عمران » ٣٧) .

٣ - نص أعلى محراب الكشف شرق المحراب ، في حائط القبلة :

هذا محراب طاقة الكشف النبي عليه السلام .
طاقة الكشف نبي أولدى بو محراب علم .
(أقيم هنا محراب علامة طاقة الكشف) .
حضرت منكشف أولدى بورادن ارضى حرم .
(هنا انكشفت الأرض الحرم لحضرت) .

٤ - نص في مكان مبرك الناقة :

النص العربى : هذا محل مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم .
النص التركى : مبرك الناقة در اسمى بو محل باكك .
(مبرك الناقة هو اسم هذا المكان المبارك) .
أولدى جولانكه قضواسى شه لولاكك .
(وأصبح ساحة لناقة الملك « محمد ») .

الوصف المعماري

يتكون المسجد من مستطيل تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، ويتوسطه صحن مستطيل . ويتكون إيوان القبلة من ثلاث بوائك ، تحتوى كل بائكة على ستة أعمدة تعلوها عقود نصف مدببة . ويعلو البوائك قباب ضحلة ترتكز على مثلثات كروية مقعرة (Spyllrical Trairgle Pendentive) على الطراز العثماني في التغطية .

ويجدار القبلة يوجد المحراب ولكنه لا يتوسط الجدار تماماً . ويعلو المحراب عقد دائري على شكل جدوة الفرس الممتد . وقد كسيت صفح عقد المحراب بالرخام الأبيض والأسود ، ويرتكز المحراب على عمودين من الرخام .

ويقال إن المحراب بقي في المكان الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم فهو لا يتوسط حائط القبلة تماماً كما هو الحال في عمارة المساجد وإلى اليمين من المحراب يوجد منبر من الرخام . وفي إيوان القبلة وخلف المحراب الموجود في صحن المسجد توجد دكة المبلغ وهي من الخشب ومحمولة على أعمدة حجرية .

ويحتوى الضلع الشمالى من المسجد المقابل لإيوان القبلة على صفين من البوائك

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٧١١ .

تعلوها قباب ضحلة . أما الجهة الشرقية والغربية من المسجد فتحتوى كل جهة منها على صف واحد من البوائك التى تعلوها قباب ضحلة كذلك .

وتقع المئذنة فى الركن الشمالى الغربى ، وتتكون من ثلاث طبقات ، الأول مربع الشكل ، والثانى مشمن الشكل . ويفصل الطابق الثانى عن الأول شرفة تقوم على ثلاث حطات من الدلايات . أما الطابق الثالث فاسطوانى الشكل ، ويفصله عن الطابق الثانى شرفة كذلك تقوم على ثلاث حطات من الدلايات كذلك . أما قمة المئذنة فهى مخروطية الشكل على الطراز العثمانى .

مسجد القبلتين

وهو في الشمال الغربي للمدينة في رابية على شفير وادي العقيق الصغير ، والمسافة بينه وبين بئر رومة - بئر عثمان رضى الله عنه - التي في شمالى المسجد مسيرة خمس عشرة دقيقة ، ولم يبق منه إلا بعض جدرانه ^(١) .

وممن عمره وجدده سقفه الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدم بالمسجد النبوى وذلك سنة ٨٩٣ هـ ، وجدده السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ . وسمى بمسجد القبلتين لما رواه يحيى عن عثمان بن محمد بن الأحنس ، قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بشر بن البراء في بنى سلمة ، فصنعت له طعاماً فأكل هو وصحبه ، ثم حانت صلاة الظهر فصلاها بأصحابه في مسجد القبلتين ، ولما أن صلى ركعتين منها أمر أن يتوجه إلى الكعبة فاستدار هو وصحبه إليها .

قال الزمخشري : وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال - واستقبل الميزاب - فهي القبلة التي قال الله تعالى : ﴿ فَلَسُوْا لَيْسَكُمْ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ فسمى من أجل ذلك بمسجد القبلتين .

وروى عن محمد بن جابر ما يخالف ذلك ، فإنه قال : صُرفت القبلة ونفر من بنى سلمة يصلون في المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين ، فاتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة .

(١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧٢ .

وفي رواية البراء بن عازب غسن البخارى في ذكر قصة التحويل . فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فر على قوم من الأنصار يصلون صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فأخبرهم أنه صلى مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وروى يحيى عن رافع بن خديج أن التحويل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الظهر .

وفي الصحيحين عن ابن عمر ، قال : بينما نحن في صلاة الصبح بقباء جاءنا رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة - ألا فاستقبلوها ، وكانت قبة الناس إلى الشام ، فاستداروا وتوجهوا إلى الكعبة .

قال سعيد بن المسيب : وكانت الصلاة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وهذه الروايات تفيد في مجموعتها تعدد الصلاة التي حولت فيها القبلة ، وتعدد المساجد التي حولت القبلة فيها أثناء الصلاة وعلى هذا فلا معنى لتخصيص مسجد بنى سلمة بهذه التسمية - اللهم إلا أن نقول ، ما قاله الحافظ ابن حجر من أن التحقيق أن أول صلاة صلاها في بنى سلمة الظهر وأول صلاة بالمسجد النبوي العصر ، فحينئذ يكون مسجد بنى سلمة أولى بالتسمية لأنه أول مسجد صليت فيه صلاة واحدة إلى القبلتين وحصل ذلك بعده في عدة مساجد .

ومن الطبيعي أن يكون المسجد قد جدد على مر الزمن إلا أن المصادر التاريخية لم تذكر أحداً بعينه اللهم إلا السلطان قيتباي ، الذي أمر شيخ خدام الحرم النبوي الشجاعى شاهين الجبالى بتجديد مباني مسجد القبلتين ورفع سقفه وذلك (٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م) .

ثم أصلح وجدد في العهد العثماني ، فقد أمر السلطان سليمان القانوني خدام الحرمين بتجديده وذلك^(١) (٥٩٠ هـ / ١٥٤٣ م) .

(١) الوثيلاني : نزعة الأنظار ص ٤٧٥ .

الوصف المعماري لمسجد القبلتين

يقع المسجد على هضاب حرة الوبرة في الطرف الشمالى الغربى للمدينة المنورة .
ويتكون المسجد من بناء مستطيل يشغل منه رواق القبلة الذى يحتوى على ثلاث بوائك
موازية لحائط القبلة .

وتتكون كل بائكة من ثلاثة أعمدة تحمل عقوداً مدببة ممتد (Stilted
Pointedarch) وتقسم بوائك إيوان القبلة إلى ثلاثة أروقة . ويتوسط حائط القبلة
محراب مجوف ذو عقد مدبب زالت معظم زخارفه ويحيط بالمسجد رحبة كبيرة يصعد
إليها بدرج من الطريق من جهته الغربية . وفي الركن الشمالى الشرقى توجد مثناة المسجد
وهى حديثة البناء .

مسجد الجمعة

كان هذا المسجد في الأصل واقعاً في منازل بني سالم من الأنصار . أما اليوم فهو في وسط صفصف خال ، وفي جهته الشرقية بعض أشجار الطرفاء ، وفي جهته الغربية أرض جرداء ، وفي جهته الجنوبية بستان ، وكذلك في جهته الشمالية^(١) .

ومسجد الجمعة من المساجد الماثورة ، ويكفيه أنه أول مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس^(٢) .

فقد سلف لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم في خروجه من قباء أدركته الجمعة في بني سالم فصلاها في بطن الوادي - وادي رانواء ، وكانت أول جمعة صلاها في المدينة^(٣) .

يقع هذا المسجد في بطن وادي رانواء شرقي الطريق المستحدث إلى مسجد قباء ، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره في وهدة من الأرض ، وذلك قبيل بستان الجزع^(٤) .

(١) وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨١٩ .

(٢) العباسي : عمدة الأخبار ص ١٧٠ .

(٣) المطري ص ١٦٤ .

(٤) ابن التجار : الدرة الثمينة ص ١٦٣ .

وطول مسجد الجمعة هذا ثمانية أمتار في عرض أربعة أمتار ونصف المتر وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة بناءً جيداً ، وله قبة واحدة مبنية بالطوب الأحمر وبالجير ، في داخلها من العلو أربع فتحات ، ترسل إليه النور والهواء ، وله حظيرة في شماله طولها ثمانية أمتار في عرض ستة وارتفاع جدارها متران^(١)

وعلى جانبي بوابة المسجد التي هي عبارة عن عقد مفتوح بغير مصراعين - حجران من الرخام الأبيض مستطيلان مثبتان في الجدار ، مكتوب عليهما العبارة الآتية :

« أمر ببناء هذا المسجد المبارك مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة . »

والسلطان بايزيد هذا من سلاطين آل عثمان وتولى السلطنة ما بين عامي ٨٨٦ هـ و ٩١٨ هـ . ومن هذه العبارة نستطيع أن نعرف أن عمارة مسجد الجمعة الحالية مضي عليها الآن ما يزيد على أربعة ، قرون ونصف^(٢) . على أن مسجد الجمعة جدد عدة مرات أو أعيد بناؤه كما تذكر ذلك بعض المصادر^(٣) . فقد جدد في العهد العباسي على يد أمير المدينة عبد الصمد^(٤) سنة ١٥٦ هـ وذلك في خلافة أبي جعفر المنصور .

ويصف لنا المطري^(٥) مسجد الجمعة في القرن الثامن الهجري فيقول ، إنه مسجد صغير جداً مبنى محاط بالحجارة قدر نصف القامة .

ويعطينا السهري^(٦) وصفاً دقيقاً لمسجد الجمعة كما رآه في أوائل القرن العاشر للهجرة ، فيقول ، إنه عبارة عن طوله من الشمال إلى الجنوب (٢٠) ذراعاً وعرضه

(١) مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧١ .

(٢) مرآة الحرمين ج ١ ص ٢٧٢ .

(٣) وفاء الوفا ج ٢ ص ٨٤٠ ، أحمد البرادعي : المدينة المنورة ص ٨٥ .

(٤) عمدة الأخبار ص ١٨٠ .

(٥) العياشي ص ٦٩ .

(٦) المطري : التعريف بما انتست به دار الهجرة ص ١١٩ .

من الشرق إلى الغرب (١٦,٥٠) ذراع . ويتكون من رواق بسقف مستوي ، يفتح في الجهة الشمالية على رحبة عن طريق قوسين بينهما عمود في المنتصف . ويضيف السهودي فيقول ، أن الذي جدد مسجد الجمعة من المسلمين غير العرب .

(١) ويستطرد السهودي في حديثه عن مسجد الجمعة فيقول : إن سقف المسجد قد خرب فجده الخواجا شمس الدين قاوان .

ويحدثنا السخاوي^(٢) عن ترجمة حياة الخواجا شمس الدين ، فيقول هو الخواجا محمد بن أحمد الشمسي المعروف باسم ابن قاوان^(٣) ، نزيل مكة ، توفي في سنة ٨٨٩ هـ ، ودفن بالمعلاة بمكة^(٤) .

وقد ثبت على حائط المسجد لوحين من الرخام نقش عليهما النص الآتي :

أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجمعة مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر (سليمان خان ابن السلطان بريد ، بتاريخ شوال سنة) . وقد حكم السلطان بايزيد ما بين (٨٨٦ هـ - ٩١٨ هـ) ثم جدد مسجد الجمعة في القرن الرابع عشر للهجرة السيد حسن الشيرتلي^(٥) .

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٨٤٠ .

(٢) التحفة اللطيفة ج ٢ ص ٣١٩ .

(٣) الضوء اللامع ج ٧ ص ٥٤ .

(٤) عبد القدوس الأنصاري ص ١٣٧ .

(٥) على حافظ : فصول في تاريخ المدينة المنورة ص ١٢٦ .

الوصف المعماري لمسجد الجمعة

يتكون المسجد من إيوان للقبلة ورحبة ، ويبلغ طول إيوان القبلة (٨) أمتار وعرضها (٤,٥) متر وارتفاعه (٥,٥) متر . وينقسم إيوان القبلة إلى ثلاثة أقسام بواسطة عقدتين مديبين عموديين على حائط القبلة . ويغطي الجزء المتوسط من إيوان القبلة وأمام المحراب ، قبة تقوم على مقرنص في كل ركن من أركان المربع الذي تحته . وتقوم القبة على رقبة (Drum) فتحت بها أربع نوافذ صغيرة معقودة بعقد نصف دائري .

أما الرحبة التي يفتح عليها إيوان القبلة فتبلغ مساحتها (٦×٨) أمتار وارتفاع سورها (٢) متراً .

ومن المرجح أن تكون عمارة المسجد الحالية من العصر العثماني ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خيراً مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة^(١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الإسلام ، والطريق العظمى هي المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهي ضعف تلك في المسافة وسور المدينة الآن يمنع سلوكها .

(١) البخارى : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر .

ولم تتحدث المصادر عن شكل مبنى المسجد المسقط ، بل إن العديد منها لم يشر إلى المسجد إطلاقاً . وكان السمهودي^(١) أول من تكلم عن المسجد بإسهاب ، وإن كان يتساءل عن أصل بناء المسجد فيقول : « وعمارته الموجودة اليوم لا أدري لمن تنسب » .

ويشير السمهودي بعد ذلك إلى تجديد المسجد في عهد السلطان المملوكي البحري حسن بن قلاوون مدعماً ذلك بنص تاريخي كان موجوداً على زمنه بأعلى باب المدخل . « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهابه (!) عز الدين شيخ الحرم النبوي الشريف وذلك في أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى »^(٢) .

ولقد كان ذلك التجديد قبل عام ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م وهو تاريخ وفاة شيخ الحرم عز الدين ويتضح من ذلك النص أن المسجد لم تنله يد الإصلاح قبل ذلك ، ولعل وجوده في حالة خربة كان داعياً لعدم الإشارة إليه في كتابات المدينة المنورة .

وقد أجريت إصلاحات بالمسجد في عهد السلطان المملوكي الجركسي إينال على يد برديك المعمار^(٣) ، وأضاف السمهودي أن برديك عمل منصة (دكة) خراج المسجد أمام الباب خصصت لجلوس المبلغين وذلك عام ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م .

ويقول إبراهيم رفعت :

ورممه الأمير برديك المعمار سنة ٨٦١ هـ . في دولة الأشراف إينال وأحدث سقفاً خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجاً خارجه على ميمنة الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب أما المسجد الآن فإنه ذو قباب ثمانية ومبنى بناءً متقناً بالآجر الأسود .

(١) وفاء الوفا ج ٢ ص ٨٣٥ .

(٢) هو بردك التاجي الأشرفي برسباي ، أمير عشرة ولي بمكة في عهد الظاهر حقيق (٨٤٢ هـ) نظر الحرم وشاد العمار ، ثم أرسل ٨٦١ هـ في عهد السلطان إينال لعمل إصلاحات بالحرم النبوي (السخاوي . الضوء اللامع ج ٣ ص ٦ ، أبرامحاسن ج ١٤ ص ٢٢٩) لعل ذلك ثم في آخر أيام الناصر محمد بن قلاوون عندما استتب له الأمر في السلطنة وذلك سنة ٧٦٣ هـ .

(٣) مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢١ .

انظر والذي بجواره مسجد عثمان والمنزل ذو الرواشن الذي باليمين لأمين أفندى يرى شيخ الفراشن بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين .

ويرجع الإنشاء العثماني الحالي إلى عمارة السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥ - ٧٧ م / ١٨٣٩ - ٦١ م) وقد كان ذلك قبل عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م وقد أشار إلى ذلك الإنشاء عبد القدوس الأنصارى^(٢) وقرأ النص التاريخي المحفور على لوح خشبي كان مثبتاً على حائط القبلة (غير موجود حالياً) :

بسملة ﴿ إنما يعمر^(٢١) مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ اللهم شفّع النبي في مجددہ السلطان عبد المجيد خان عز نصره .

ثم جدد بعد ذلك في العصر السعودي ، ولعل ذلك كان عام ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ - ٤ م ، وهو تاريخ مسجل على ضلقتي الباب عن يمين الباب الأوسط :

بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقي إلا بالله . النجار عطا ٧٣ (١٩٥٣ - ٤ م) كذلك يوجد على الجزء العلوي من الأبواب الجانبية بالواجهة الشمالية الآية الكريمة : الضلفة اليمنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الضلفة اليسرى : أدخلوها بسلام آمين .

(٢) عبد القدوس الأنصارى ص ١١٩ .

(٣) سورة التوبة آية (١٨) .

الوصف المعماري لمسجد المصلى أو الغمامة

يتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله (٢٦) متراً وعرضه (١٣) متراً وارتفاعه عن مستوى الأرض (١٢) متراً . وينقسم المسجد إلى قسمين ، إيوان القبلة والمدخل ذو السقيفة (Portico) .

ويشغل إيوان القبلة مستطيلاً طوله 9×26 يحتوي على إيوانين موازيين لحائط القبلة . ويغطي كل إيوان ثلاثة أقباء تقوم على عقود مدببة وعلى أربعة مقرنصات في الأركان وبين كل قبتين يوجد أقباء متقاطعة (Cross - Vaults) .

أما المدخل ذو السقيفة (Portico) الذي يتقدم إيوان القبلة فينقسم إلى خمسة مربعات تتقدمه أربع دعائم . ويغطي سقف السقيفة خمس قباب مختلفة الأحجام ، أكبرها تلك التي تقع بجانب الضلع الشرق والغربي وتندرج القباب في الصغر حتى القبة الوسطى العمودية على محراب إيوان القبلة .

ويتقدم المدخل ذو السقيفة ساحة مكشوفة تنتهى بخمس درجات تحيط بالساحة من جهاتها الثلاث خمس درجات .

ويتكون المحراب من حنية ذات سبعة أضلاع ويعلوه عقد مفصص ويكتنفه عمودان ملتصقان تيجانها على شكل ناقوس . وإلى اليمين من المحراب يوجد المنبر الرخاص . ويتكون المنبر من تسع درجات تنتهى بجلسة الخطيب التي تنتهى من أعلى

بقبة مخروطية . ويتقدم المنبر ضلفتا باب من الخشب عليه كتابة عبارة عن جملة دعائية باللغة التركية ، كما يوجد على عتب المنبر السورة القرآنية الآتية (١) :

« إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » ويعلو ضلفتي المنبر العبارة الآتية :
هذا من فضل ربي .

أما المئذنة فتقع في ركن المبنى وتتكون من ثلاثة طوابق السفلى منها مربع بارتفاع حائط المسجد ، والطابق الثاني مشمن ، وينتهي بشرفة لها درابزين من الخشب . ويعلو المشمن طابق أسطوانى به باب الخروج إلى الشرفة المذكورة . وتنتهى المئذنة بقبة منخفضة مشكلة بهيئة فصوص يعلوها فانوس ويتوجها هلال .

(١) سورة النمل آية (٣٠) .

مسجد عبدالله بن العباس بالطائف

ولأهل الطائف اعتزاز كبير بوجود قبر ومسجد عبدالله بن العباس في أرضهم . ولا غرو فابن عباس علم من أعلام الإسلام فهو كما وصفه علماء^(١) الفقه والشريعة ، الحبر البحر ترجمان القرآن ، مفسر الصحابة وعالمهم بدقائق كلام الله تعالى . ولد عبدالله بن العباس بشعب بني هاشم حين حصرهم قريش قبل الهجرة بثلاث سنين ، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى ومسح رأسه وضمه إليه وسماه عبدالله وأخبر أنه من خيار هذه الأمة ودعا له بالفقه والحكمة والعلم بكتاب الله تعالى وتأويله وأن يزيده فهماً وعلماً وبارك فيه وينشر منه ويجعله من عباده الصالحين . وهو أحد الستة المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحاب الألواف في الحديث وهم أبو هريرة وابن عامر وجابر وابن عباس وأنس وعائشة^(٢) .

وقد كان لابن عباس عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة أو خمس عشرة سنة فروى عن جماعة من الصحابة وروى عنه منهم جماعة : منهم أنس بن مالك وأبو إمامة بن سهل وخلق من التابعين^(٣) . وكان سعد بن أبي وقاص يقول عنه

(١) الشيرازي ص ٤٨ ، الإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٣١ ، المجموع : نور الدين الهيثمي ج ٩ ص ٢٧٦ ، أحمد والطبراني بأسانيدهما .

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٩ (باب غزوة الطائف) .

(٣) المعجمي : من أخبار الطائف ص ٦٢ .

ما رأيت أحداً أحضر فهماً ولا أكثر علماً ولا أوسع حِلماً من ابن عباس رضى الله عنهما ويضيف سعدٌ فيقول ولقد رأيت عمر رضى الله عنه يدعو للمعضلات فيقول قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر أنت لها ولأمثالها^(١).

وكان على رضى الله عنه يقول في ابن عباس : إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته^(٢). وقد أمره على بن أبي طالب على البصرة فكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلى على الصلاة وزباد بن أبي سفيان على الخراج وكان أهل البصرة مضبوطين به يفقههم ويعلم جاهلهم ويغلط مجرمهم ويعطى فقيرهم^(٣). ثم فارق عارق عبد الله بن عباس البصرة بعد مقتل على رضى الله عنه.

وعاش ابن عباس بعد على رضى الله عنهما خمسة وثلاثين عاماً متفرغاً لنشر العلم وكان يقول أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله^(٤) وفي ذلك يقول الذهبي : « روى أنه لم يكن على وجه الأرض في زمانه أحداً أعلم منه » ويقول مسروق^(٥) : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس وإذا نطق قلت أفصح الناس وإذا تحدث قلت أعلم الناس^(٦) وقال طاووس^(٧) : « أدركت خمسين أو سبعين صحابياً إذا سئلوا عن شئ فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت أو صدقت »^(٨).

وكان ابن عباس رضى الله عنه أبيض الوجه وسيماً جسيماً مشرباً بصفرة طويلاً صبيح الوجه له فروة خضبت بالحناء . وكان رضوان الله عنه يلبس الخنز ويعمم بعمامة سوداء يرخيها شرباً . وقال ابن^(٩) عطاء في وصفه : « ما رأيت القمر ليلة البدر

(١) شذران الذهب ج ١ ص ٧٥ .

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٣٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٤ .

(٤) المرجع السابق ج ٨ ص ٣٠٣ .

(٥) مسروق بن الأجدع الحمداى تابعى توفى سنة ٦٣ هـ .

(٦) الإصابة ج ٢ ص ٣٣٣ ، البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٢ .

(٧) طاووس بن كيسان الباقى تابعى توفى سنة ١٠٦ هـ .

(٨) الإصابة ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٩) عطاء بن أبي رباح تابعى بن رجال الحديث توفى سنة ١١٤ هـ .

إلا تذكرت وجه ابن عباس رضى الله عنهما . وكان جواداً كريماً متواضعاً صبوراً على الأذى يصوم الاثنين والخميس ولا يترك قيام الليل حتى في السفر . قال ابن أبي مليكة^(١) : « صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فإذا نزل قام شطر الليل فيرتل القرآن ويكثر من النحيب » وعن أبي^(٢) رجاء : قال : « رأيت ابن عباس وأسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء » .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يجلس في كل يوم لنوع من العلوم وكان يقول مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة . وقد كفّ بهره رضى الله عنه في آخر عمره وكان ينشد :

أن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لسانى وقلبي منها نور
عقل صحيح ورأى غيرذى خلل وفي صاوم كالسيف مشهور

وقد خرج ابن العباس رضى الله عنهما من مكة عندما دب الخلاف بين عبد الله بن الزبير وبين الدولة الأموية عندما رفض ابن الزبير مبايعة يزيد بن معاوية وطلب الخلافة لنفسه . فجاء ابن الزبير إلى ابن عباس وطلب منه مبايعته ولكن ابن عباس توقف عن المبايعة وقال : لا أباعك حتى تجتمع البلاد وتتفق الناس .. فغضب ابن الزبير وأخرج ابن العباس من مكة فذهب إلى الطائف فسكنها وبقي بها حتى توفي سنة ثمان وستين وقليل سنة إحدى وسبعين^(٣) . وقد خرج لهذا السبب أيضاً محمد بن الحنفية^(٤) بن علي بن أبي طالب وتوفي وقبره بالطائف كذلك سنة إحدى وثمانين للهجرة وقليل ثلاث وثمانين وقليل سنة اثنين أو ثلاث وتسعين^(٥) .

(١) هو أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي قاضي مكة زمن ابن الزبير توفي سنة ١١٧ هـ .

(٢) أبو رجاء عمران بن ملحان البصري المطار دي تابعي توفي سنة ١٠٥ هـ .

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٠ .

(٤) أمة خولة بنت جعفر بن ذرية حنفية بن لجن (عن وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٢) .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٢ .

المسجد العباسي

هو أكبر مساجد الطائف ومن أقدمها بُني مكان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أقيم بعد غزوة الطائف بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فقد ترك عليه الصلاة والسلام بقرب الطائف^(١) بواد يقال له العقيق فتحصنت ثقيف في حصونهم التي لا حصون مثلها في حصون العرب فحاصروهم النبي عليه الصلاة والسلام بضعاً وعشرين ليلة وكان معه عليه السلام امرأتين من نسائه هما : أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طوال حصاره الطائف .

وفي ذلك الموضع أقيم أول مسجد بالطائف الذي تولى بنيانه عمرو بن أمية بن وهب ابن معتب بن مالك الثقفي لما أسلمت ثقيف ذكره أهل السير وقالوا : « كانت فيه سارية لا تطلع الشمس عليها مدى الدهر إلا أياماً »^(٢) ويضيف العجيمي^(٣) على ذلك فيقول : « وقد فُقدت هذه السارية بل لم يُرَ ذاكراً لها أو متحدثاً عنها » . وقد ذكر تقي الدين^(٤) الفاسي إن أول من عمّر مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) انظر في غزوة الطائف ابن هشام ج ٤ ص ١٢١ ، الوافدي ص ٤٢٢ ، ابن سعد ج ٢ ص ١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٢٢ ، البخاري ج ١٢ ص ١٢٢ ، سنين ابن داود ج ٢ ص ٢٨ ، الطبري ج ٣ ص ٨٣ ، ابن حزم ص ٢٤٢ ، وابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٠٠ ، النويري ج ١٧ ص ٣٣٥ . ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٣) العجيمي : من أخبار الطائف ص ٦٠ .

(٤) تقي الدين : شفاء الغرام ج ١ ص ٩٠ .

بالبطائف هي السيدة زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر العباسي وأنه وجد (أي في القرن التاسع الهجري) بخارج الجدار القبلي من المسجد العباسي حجراً مكتوباً فيه :

(أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل أم ولي عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطائف وذلك سنة اثنين وتسعين ومائة) .
وبجوار مسجد الرسول قبتان مبنيتان في موضع خيمتي زوجتي الرسول صلى الله عليه وسلم السالف الإشارة إليهما وهما : زينب وأم سلمة رضي الله عنهما وقد ذكرهما المؤرخون حتى القرن السابع للهجرة إلا أنهم لم يتعرضوا جميعاً لذكر اسم بانيهما ^(١) .

فلما توفي شهداء غزوة البطائف رضي الله عنهم وهم اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قريش : سعد بن سعيد بن العاص وعطرفة وعبد الله بن أمية بن المغيرة وعبد الله بن عامر بن ربيعة والسائب وعبد الله بن الحارث بن ربيعة وحليمه بنت عبد الله . وأربعة من الأنصار وهم : ثابت بن الجذع والحارث بن سهيل بن أبي صعصعة والمزرب بن عبد الله ورقم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد ، وواحد من ثقيف وهو عروة بن مسعود الثقفي قتلته ثقيف مسلماً ، دفن جميعهم عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين .

فلما توفي ابن العباس سنة ثمان وستين دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره ، كما دفن محمد بن الحنفية . وقد أقام على قبر ابن العباس الخليفة العباسي المقتضى لأمر الله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة (٥٤٧ هـ) بنياناً وقد أثبت هذا في لوحة من الخشب رآها المرجاني ^(٢) في سنة أربع وخمسين وسبعمائة . ويتكون بنيان القبر الذي أمر بعمله الخليفة المقتضى لأمر الله من بناء يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وارتفاعه عن الأرض ثلاثة أشبار وقد كُسى القبر بخشب الساج .

وقد جدد بناء هذه المقبرة وأقام عليها قبة الخليفة العباسي أحمد بن المستضى بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسي . وتقع هذه القبة في الركن الأيمن القبلي من المسجد .

(١) ابن فهد : تحفة البطائف ص ٦٧ .

(٢) العجيمي : في أخبار البطائف ص ٦٧ .

وأول من بنى مسجد العباس المجاور لقبته ومسجد الرسول والآثار النبوية وكذا مقابر الصحابة وشهداء غزوة الطائف هو الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء^(١). ويؤيد ابن فهد^(٢) هذه الرواية بقوله انه شاهد بخط العلامة قاضي الحنفية رضي الدين أبي حامد محمد بن أحمد بن ضياء القرشي أنه وجد مكتوباً على القبر في المسجد الشريف (يعني مسجد عبد الله بن العباس) ما صورته : « أنه عمل باسم المستضيء بأمر الله العباس سنة اثنين وتسعين وخمسمائة » (٥٩٢ هـ).

وقد جددت أروقة المسجد وجدراناه بعد ذلك ولكنها كانت عمارة ضعيفة ، الأمر الذي جعل الملك المظفر يوسف بن رسول صاحب اليمن يعيد تجديد عمارة المسجد وعمارة القبة والمنارة كذلك كما تدل على ذلك الكتابة الموجودة على باب القبة والتي جاء فيها : « أمر بتجديد ما نقب (أو تعب) من هذا المسجد من المنارة وغيرها الملك المظفر في سنة خمس وسبعين وستمائة »^(٣).

ثم توالى يد التجديد والترميم والإضافة إلى مسجد عبد الله بن العباس خلال العصور فقد ذكر العجيمي^(٤) الذي جمع تاريخ هذا المسجد أنه وجد بخط الشيخ محمد الخادم المشهور (بعمامة) أنه في عام سبعة وأربعين بعد الألف أمر أمير الحاج المصري رضوان بك بتبييض قبة سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وبناء المنارة الموجودة الآن على باب المسجد (أى في سنة ١١١٣ هـ) وبذل في ذلك مالاً ، والقائم على ذلك شركس بن عبد الملك الشاؤونس الطائفي حاكم الطائف والنائب عنه أحمد بن عيسى أبوحنين الخادم والمعلم أحمد بن سواكن من أهل مكة وكان الفراغ من عمارته في شهر ذى القعدة الحرام من السنة المذكورة .

ثم جدد عمارة المسجد وجدراناه وأروقته الأربعة على ما كان عليه الشريف زيد بن محسن بن الحسن بن أبي نمى سنة إحدى وسبعين بعد الألف وكان القائم على تلك

(١) تاريخ المرجاني ، تقى الدين القاسي : شفاء الغرام ج ١ ص ٩٠ .

(٢) ابن فهد : تحفة اللطائف في فضائل الجبر ابن عباس ووج والطائف ص ٦٥ (توفى ابن فهد سنة ٩٥٤ هـ) .

(٣) تحفة اللطائف ص ٦٥ .

(٤) العجيمي : من أخبار الطائف ص ٧٤ .

العمارة القائد أحمد بن ربحان حاكم الطائف . وقد كانت القبور قد زادت وكثرت حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، لذلك أمر الشريف زيد بن محسن ببناء جدار في مؤخر المسجد يفصل بينه وبين القبور ، كما نهى الشريف عن الدفن فيه .

ويقول ابن فهد ^(١) وليس بهذا المسجد جمعة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديماً لوجود المنبرية ويضيف على ذلك فيقول (فإني لما زرت الطائف في المرة الأولى سنة خمس عشرة وتسعمائة لم أر بها جمعة ثم زرتها مرة ثانية في السنة التي بعدها فوجدت الجمعة في غير المسجد الكبير الذي فيه قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك لأنه منفرد عن القرى وسط البرية ويصعب على أهل البلاد التوجه إليه لبعده عن بعضهم وكونهم لا يسمعون النداء فله الأمر من قبل ومن بعد) .

واستمر انقطاع الجمعة بالمسجد العباسي إلى سنة أربع وخمسين وألف حين جاء إلى الطائف الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في جمع من أهل مكة وأعيانها بحيث ضاق عليهم مسجد الجمعة الكائن بقرية السلامة فأمر بإقامتها في مسجد سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما ، فأقيمت في ثالث جمادى الأول من السنة المذكورة . وفي سنة خمس وستين أمر الشريف زيد الشيخ حنيف الدين المرشدي مفتي مكة بمباشرة عيد الفطر مباشرة على أسلوب خطباء العيد بمكة وأمر بذلك أيضاً في سنة ست وستين القاضي عبد الجواد المتوفى الحنفي فباشرها كذلك .

وقد أعيد بناء مسجد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما حديثاً في عهد آل سعود على غرار المساجد الجامعة في عواصم المدن الإسلامية فشمّل رقعة كبيرة احتوت جميع أرض الجبانة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين وغيرها من المآثر النبوية .

ويتكون المسجد الآن من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات عدا الجهة الشرقية حيث يشغل منها مقبرة الصحابة ومكان القبتين وكذا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتوجد في كل من الضلعين الجنوبي والغربي للمسجد ثلاثة أروقة مكونة من

(١) ابن فهد : التحفة ص ٦٧ ، ٦٨ .

دعائم مربعة الشكل تعلوها عقود ذات زوايا . أما الجانب الشمالى للمسجد فيحتوى على ثلاثة عشر رواقاً موازية لحائط القبلة مكونة من دعائم تعلوها عقود ذات زوايا ويتوسط هذا الجانب مجاز يقطع الأروقة المستعرضة إلى نصفين ويكون عمودياً على محراب القبلة .

وفي الضلع الشمالى للمسجد يوجد محراب مجوف عميق تكتنفه حنيتان تستعمل اليمنى منهما كمنبر ويصعد إليها بدرج أما الثانية فتستعمل كدولاب حائطى لحفظ المصاحف وغيرها من الكتب الدينية . ويوجد المدخل الرئيسى للمسجد فى الضلع الغربى منه وهو عبارة عن باب كبير معقود يكتنفه بابان صغيران معقودان كذلك ويتقدم هذا المدخل سقيفة ذات أعمدة . والمسجد مرتفع عن سطح الشارع .

ولما كان الشارع منحدرًا كذلك فإنه يصعد إلى الجامع بدرج يختلف عدد خطواته من مكان إلى آخر من أجزاء المسجد ، كما توجد مجموعة من الأبواب غير المدخل الرئيسى فى أضلاعه الثلاثة الشرقية والجنوبية والغربية حتى يسهل خروج المصلين منه .

المسجد النبوي

ولعل خير ما نختم به موضوع المساجد التي وردت في السيرة العطرة هو مسجد الرسول .

لقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجراً من مكة إلى المدينة ومعه أبوبكر رضي الله عنه ، وكان خروجهما من خوخة في دار أبي بكر ثم سارا متوجهين إلى غار ثور فدخلا .

ولقد لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ثم جاءهما عبد الله بن أريقط وهو كافر كانا قد استأجراه ليدلّهما على الطريق . وكان قد هيا لهما راحلتين ، ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، وركب أبوبكر الأخرى ، وأردف خلفه عامر بن فهيرة مولا لخدمتهما في الطريق .

ولما سمع المسلمون من الأنصار بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة . فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم ، وأحرقتهم الشمس وإذا رجل من اليهود قد صعد على آطم من آطامهم ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب ، يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون^(١) .

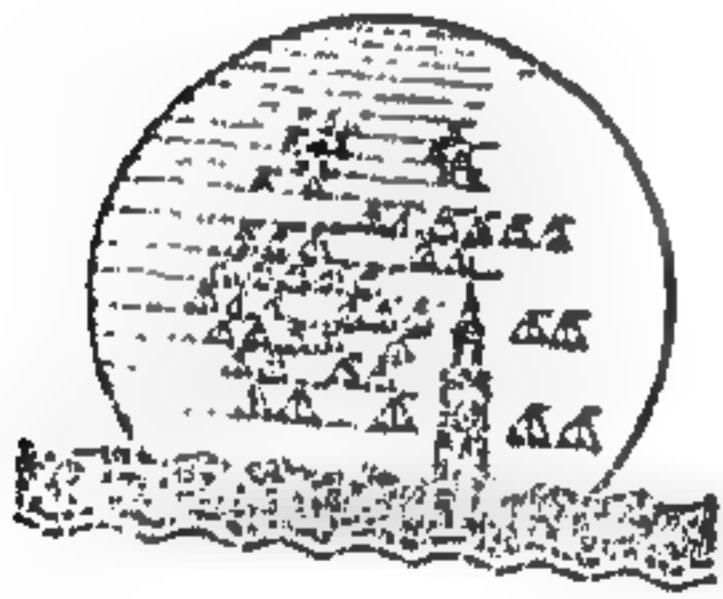
(١) معالم دار الهجرة ص ٢٠٤ .

وفي ذلك يقول أنس ^(١) بن مالك : كنت إذ قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن تسع سنين ، فأسمع الغلمان والولائد يقولون ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نرى شيئاً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر ، فكنا ^(٢) في حرب ^(٣) في طرف المدينة وأرسلنا رجلاً يؤذن ^(٤) لها الأنصار ، فاستقبلها زهاء خمسمائة من الأنصار حتى جاءوا إليهما . ويقول : فما رأيت مثل ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شيء . ونزلا بقباء على كلثوم بن الهدم ، ثم ذكر تأسيس مسجد قباء .

ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم شيخ بنى عمرو بن عوف (بطن من الأوس) في قباء بقية يوم الاثنين الذي وصل فيه ، والثلاثاء وأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة ^(٥) . وأسس في قباء المسجد الذي أسس على التقوى أى الذى نزلت فيه الآية ﴿المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ ^(٦) .

وكان خروجه منها يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة في بنى سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذى ببطن وادى (رانونا) ، فكانت أول جمعة صلاها في المدينة . ثم أتاه رجال من بنى سالم ^(٧) فقالوا : يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ، فقال صلى الله عليه وسلم ، خلو سبيلها (يعنى ناقتة) فإنها مأمورة .

ثم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الحبلى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى ، فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الأطم محتبياً قال :



Digitized by the Alexandria Library (GOAL)
Shibli Library Alexandria

(١) البخارى : التاريخ الصغير ص ٨٧ .

(٢) كنا أى : استترنا .

(٣) الحرب : هو الموضع المحرث للزراعة .

(٤) يؤذن بهما : أى يعلم ويخبر .

(٥) وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المتقول عن النجار ، وقيل اثنين وعشرين ليلة وفى الهدى لابن القيم أقام أربعة عشر يوماً ، وهو ما فى صحيح مسلم .

(٦) سورة التوبة آية رقم (١٠٨) .

(٧) معالم دار الهجرة ص ٢٠٥ .

أذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم ، فقال سعد بن عباد لا تجد ^(١) يا رسول الله في نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها ، ولكن هذه داري ، فريبي ساعدة فقال له سعد بن عباد والمنذر بن عمرو وأبو دجاجة : هلم يا رسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد ^(٢) .

(موضع منبره ، وجواره مقبره ، ومقام مصلاه ، ودار آخرته ، وأولاده ^(٣) وبجانبه حجرته المظلمة التي ضمت أعظمه . والله القائل ^(٤) :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبين القاع والأكرم
نفس الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ويضيف سعد بن عباد فيقول : يا رسول الله ليس من قومي أكر غدقا ولا فم
بثمني مع الثروة والجلد والعدد والحلقة ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بارك
الله فيكم وجعل صلوات الله عليه يقول : يا أبا ثابت خلّ سبيلها فإنها مأمورة .

ثم مضى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاعترضه سعد بن الربيع ، وعبدالله بن
رواحه وبشير بن سعد فقالوا يا رسول الله تجاوزنا ، فإننا أهل عدد وثروة وحلقة ،
فقال : بارك الله فيكم ، خلوا سبيلها فإنها مأمورة . ثم اعترضه زياد بن ليلى وفروة بن
عمرة ، أي من بني بياضة ، يقولان : يا رسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد
والقوة ، نحن أهل الدرك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلوا
سبيلها فإنها مأمورة . ثم مر بيني عدى بن النجار ، وهم أخواله ، فقام أبوسليط

(١) لا تجد : أي لا تغضب أو تحزن .

(٢) ابن حجر ج ٢ ص ١٣٥ .

(٣) مسالك الأبصار ص ٢٣ .

(٤) جاء في المواهب اللدنية ج ٢ ص ٥١٠ (هامش مسالك الأبصار ص ١٣٤) : أن محمد بن حرب الهلالي أتى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فزاره وجلس بحذاءه فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرسل أن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال
فيه ﴿ولو أنهم ظلموا أنفسهم جازك فاستظفروا الله واستظفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ . وقد جئتكم
مستغفراً من ذنبي مستشفأ بك إلى ربي وأنشأ يقول البيتين .

وصرمة بن أبي أنيس في قومها فقال : يا رسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة مع القرابة لا تتجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة^(١) .

ويقال : إن من أول الأنصار اعترضه بنو بياضة ، ثم بنو سالم ثم مال إلى ابن أبي ثم مر على بني عدي بن النجار ، حتى انتهى إلى بني مالك بن النجار^(٢) .

ثم سار صلى الله عليه وسلم وقد أرخى لناقته زمامها ، فكان كلما مر بدار من دور الأنصار دعوة إلى النزول عندهم ، فكان يكرر اعتذاره (دعوها فإنها مأمورة) . ثم مضى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى باب المسجد وقد حشدت^(٣) بنو مالك بن النجار ، فهم قيام ينتظرونه إلى أن طلع فهش إليه أسعد بن زرارة وأبو أيوب وعماره بن حزم وحارثة بن النعمان يقول : يا رسول الله قد علمت الخزرج أنه ليس ربع أوسع من ربعي قال : فبركت بين أظهرهم فاستبشروا ، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجع الحنين^(٤) . فساءهم ذلك وجعلوا يعدون بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشي بيثر جمل ، فبركت والنبي صلى الله عليه وسلم عليها مرخ لها زمامها ثم قامت عودها على بدنها تريد في المشي حتى بركت على باب المسجد وضربت بجرائنها وعدلت ثفنتها^(٥) .

وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه (أي النبي) في النزول عليهم فأخذ رحله فأدخله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحله وقد حط فقال (المرء مع رحله) . على أن الرسول لم ينزل حين بركت ثم ثبت فسارت غير بعيد ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول ، فنزل أنذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أي الدور أقرب ؟ فقال أبو أيوب داري هذا بابي ، وقد خططنا رحلك فيها ، فقال (المرء مع رحله) فمضت^(٦) مثلاً .

(١) وفاة الوفا ج ١ ص ٢٥٧ .

(٢) وفاة الوفا ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣) حشرت : أي اجتمعت .

(٤) ترجع الحنين : تردده .

(٥) الثفنت : جمع ثفنة ، وهي مايلي الأرض من كل ذات أربع عند بروكها ويحصل فيه غلظ من أثر البروك .

(٦) وفاة الوفا ج ١ ص ٢٦٠ .

وروى ابن زبالة أنها (أى الناقه) لما بركت بباب أبي أيوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزل فتحللها ^(١) ، فيطيف حولها أبو أيوب فيجد جبار بن صخر أخا بني سلمة ينخسها برجله ، فقال أبو أيوب : يا جبار عن منزل تنخسها ، أما والذي بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب وقر قراره واطمأنت داره ونزل معه زيد بن حارثة ^(٢) .

وهكذا نرى أن اختيار مكان المسجد وموضعه لم يكن لأحد فيه رأى إنما تم بناء على إلهامات ربانية ، وهو حيث بركت ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالقرب من بيت أبي أيوب الأنصاري حيث نزل الرسول صلى الله عليه وسلم وحط رحاله .

وقد جاء في كتاب يحيى عن الزهرى ، أنها بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين ، وكان مريداً لغلामين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته : هذا إن شاء الله المنزل ، وقال : اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ، قاله ، أربع مرات ^(٣) .

ويكمل الزهرى روايته فيقول : إن المريد ^(٤) كان لسهل وسهيل وأنها كانا في حجر أبي أمامه أسعد بن زرارة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين بركت به ناقته « هذا المنزل إن شاء الله » ثم دعا الغلامين فساومها بالمريد ليتخذه مسجداً فقال : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً .

وقد اختلفت المصادر التاريخية وكذا كتاب السير في تعيين أسماء من كان اليتيمان في حجورهم ، فقد قال يحيى تبعاً لابن زبالة : وقال بعضهم : كان لغلामين يتيمين

(١) تحللت ورزمت : تحللت بتقديم اللام على الحاء أى تحركت ، وأرزمت حدوث صوت من غير أن يفتح الفم .

(٢) وقاء الوفا ج ١ ص ٢٦٠ .

(٣) أما أنس فيقول أن الرسول نطق الدعاء لله بمباركة المنزل مرة واحدة وليس أربع .

(٤) المريد : هو الموضع تحبس فيه الإبل والغنم ، وهو مشتق من (ريد بالمكان) إذا أقام فيه أو من (ريده) أى حبسه كما يمكن أن يطلق على مخزن التمر .

لأبي أيوب هما سهل وسهيل ، ابنا عمرو ، فطلب المريد من أبي أيوب فقال
أبو أيوب : يا رسول الله المريد ليتمين ، وأنا أراضيهما فأعطاه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتخذ مسجداً .

وعند ابن أسحق ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لمن هذا ؟ يعني المريد ،
فقال له معاذ بن عفراء ، هو لسهل وسهيل ابنا عمرو يتيمان لي وسأرضيهما منه ، فاتخذ
مسجداً ، فأمر به أن يبنى .

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى ملائكة النجار بسبب موضع
المسجد ، فقال يا بني النجار ثامنوني ^(١) بحائطكم ^(٢) هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب
ثمنه إلا إلى الله أو (إلا من الله) .

ومها يكن من أمر الذي كان في حجرة اليتيمين ، فإن الذي أجمع عليه معظم
الرواة ، هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اشترى المريد من اليتيمين بعشرة دنانير
ذهباً دفعها أبو بكر الصديق من مال ^(٣) .

ولما أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم المريد ، كان فيه نخل وقبور المشركين
وخرب ، فأمر بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسويت ، فصفوا
النخل قبله له ، وجعلوا عضادته حجارة ^(٤) .

وجاء في الصحيح ^(٥) : كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل . ويضيف فيقول : إنه كان في جوف
الأرض ، أي أرض المريد ، قبور جاهلية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور

(١) ثامنوني : أي ساوموني في أرض المريد .

(٢) حائطكم : الحائط هو البستان أو الحديقة .

(٣) وفاة الرفاء جـ ١ ص ٣٢٦ .

(٤) ابن هشام جـ ١ ص ٤٩٤ .

(٥) ابن كثير جـ ٢ ص ٢٧٤ .

فنبشت فرمى بعظامها ، فأمر بها ففويت ، وكان في المبرد ماء مستنجل^(١) فسيره حتى ذهب .

أما عن مساحة المسجد الذي بنى بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة إلى المدينة المنورة كما هو واضح من سير الأحداث ، فقد كان سبعين ذراعاً^(٢) من الشمال إلى الجنوب وستين من الشرق إلى الغرب وروى ابن إسحاق قال : لما أخذ في بناء المسجد قال : ابنوا لي عريشاً كهريش موسى ، ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى ، فالأمر أعجل من ذلك ويحملون على اللبتين والثلاث ، فأخذ بيده فطاف به في المسجد وجعل يمسح وفرته^(٣) بيده من التراب ويقول : يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي^(٤) ولكن تقتلك الفئة الباغية^(٥) .

ويصف لنا ابن سعد^(٦) كيفية بناء المسجد ومن عمل به من المتخصصين في طريقة البناء بالطمي واللبن فيقول : وجاء رجل يحسن عجن الطين ، وكان من حضرموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحم الله امرأً أحسن صنعته ، وقال له : الزم أنت هذا الشغل فإني أراك تحسنه .

زيادة الرسول في مسجده :

لقد كان هناك عدة أسباب جوهرية حتمت على الرسول صلى الله عليه وسلم أن

(١) في حديث السيدة عائشة رضى الله عنها « وكان وادياً يجري بجلا تريد وادى المدينة ، والنخل : النزويجمع على أنجال واستنجل الماء : صار نراً قليلاً أو رشحاً .

(٢) لم تذكر المصادر نوع الذراع ، وإن كان المعمول به في عهد الرسول هو ذراع اليد أى (٤٨) سم .

(٣) الوفرة : هو شعر الرأس إذا وصل إلى سحمة الأذن .

(٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٣ .

(٥) المقصود هنا بالفئة الباغية ، هو معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وجماعة أيام فتنة عثمان بن عفان ومحاربتهم لعل بن أبي طالب في موقعة صفين حيث قتل عمار بن ياسر .

(٦) جاء في الروض الأنف للسهيل . أن معمر بن راشد روى : فلما قتل عمار بن ياسر يوم صفين دخل عمرو بن العاص على معاوية رضى الله عنها فزعا فقال قتل عمار فقال معاوية ، فإذا ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية بن أبي سفيان دحضت (أى ترحل) في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه .

يزيد في مساحة مسجده ، حتى يستطيع استيعاب الأعداد المتزايدة من المصلين ، وخاصة بعد انتشار الإسلام عقب صلح الحديبية سنة ٦ هـ . كما كانت الفرصة مواتية من الناحية المادية بعد انتصاره صلى الله عليه وسلم على يهود خيبر وفدك ووادي القرى في غزوة خيبر سنة ٧ هـ . وجرى الصلح بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يكون له نصف أموالهم ، وأن له أن يخرجهم من مواطنهم متى شاء .

وقد ذكر لنا النواوي في مسكه عن خارجة بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة قال : بنى الرسول صلى الله عليه وسلم في المرة الثانية مائة ذراع في مائة وأنه مربع . ويحدثنا السهودي^(١) عن قطعة الأرض التي زيدت في المسجد النبوي فيقول إن النبي قال لصاحب البقعة التي زيدت في مسجد المدينة وكان صاحبها من الأنصار « لك بها بيت في الجنة » فرد عليه وقال : لا ، فجاء عثمان بن عفان فقال له : لك بها عشرة آلاف درهم » فاشتراه منه .

ثم جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشترمني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري ، فاشترها منه ببيت في الجنة . فقال عثمان ، إني اشتريتها بعشرة آلاف درهم فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لبنة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ثم دعا عمر فوضع لبنة ، ثم جاء عثمان فوضع لبنة ، ثم قال للناس (ضعوا) فوضعوا^(٢) . وتضيف السيدة عائشة على هذه الرواية فتقول : فשל رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : هذا أمر الخلافة بعدي^(٣) .

أما عن ذرع مسجد الرسول وحدوده كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن النجار^(٤) : إن حدود مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما كان في زمنه ، من القبلة (الدرايزينات) التي بين الأساطين التي في قبلة الروضة . ومن الشام

(١) السهودي : وفاء الوفا ج ١ ص ٣٣٨ .

(٢) ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٤٩٩ .

(٤) ابن النجار ص ٦٩ .

(الشمال) الخشبستان المغرورتان في صحن المسجد . أما من الشرق إلى الغرب فهي من حجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوان الذي بعد المنبر ، وهو آخر البلاط .

تحويل القبلة :

جاء في البخارى عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يُوجَّه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾^(١) فتوجه نحو الكعبة ، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود « ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾^(٢) . فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة^(٣) .

وقد كان لتحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى بيت الله في مكة المشرفة صدى كبير عند اليهود الذين كانوا يرون في اتخاذ المسلمين قبلتهم ، أمل كبير في تحويلهم إلى دينهم ، وفي ذلك يقول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقف يصلى انتظر أمر الله في قبله ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنه عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فأشار له جبريل : يا محمد صل إلى البيت ، وصلى جبريل عليه السلام إلى البيت قال : فدار النبي صلى الله عليه وسلم إلى البيت ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ إلى ﴿ وما الله بغافل عما يعملون ﴾^(٤) .

(١) سورة البقرة آية رقم (١٤٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٤٢) .

(٣) وفاة الوفا جـ ١ ص ٣٥٩ .

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٤٤) .

فقال المنافقون : حَنُّ محمد إلى أرضه وقومه ، وقال المشركون : أراد محمد أن يجعلنا له قبلة ، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدي من دينه . وقالت اليهود للمؤمنين : ما صرفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم ألا تعبتون . وقال المؤمنون : لقد ذهب منا قوم ماتوا ما ندرى أكثنا نحن وهم على قبلة أم لا ؟ فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ .

هذا وقد اختلف الرواة في تعيين المسجد الذي اتخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم قبلتين في صلاة واحدة . كما اختلفوا في تحديد المدة التي اتخذ فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بيت المقدس قبلة له . ومن ثم فقد رأينا أن نورد بعض هذه الروايات حتى نستطيع أن نخلص إلى أرجح الروايات .

أما عن المسجد الذي حولت فيه القبلة فيقول الزمخشري : « صُرفت القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد ابن سلمة - يعني مسجد القبلتين - وقد صلى أصحابه ركعتين من صلاة الظهر ، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب ، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر في مسجده قد صلى ركعتين ، إذ نزل جبريل عليه ، فأشار إليه أن صلَّ إلى البيت ، وصلى جبريل إلى البيت .

أما عن مدة الصلاة إلى بيت المقدس ، فيقول القشيري^(١) : صلى رسول الله رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة فأناه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا فأماطه كل جبل بينه وبينها فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيئاً ، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام ، هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وقد ذكرنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين

(١) لطائف التفسير ج ٢ ص ٥٩٥ .

لزوجتيه عائشة وسودة رضى الله عنهما ، على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل^(١) . وكان لييت عائشة مصراع واحد من عرعر^(٢) أوساج . ويضيف ابن النجار فيقول : ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهم حجراً وهي تسعة أبيات ، وهي ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذي يلي باب النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أهل السير ضرب النبي الحجرات ما بينه وبين القبلة والمشرق إلى الشامي ولم يضرها في غريبه . وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب وكانت أبوابها شارعة في المسجد^(٣) .

وروى ابن الجوزي بسنده إلى محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبي الرجال : أين كانت منازل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبرني عن أبيه عن أمه ، أنها كانت كلها في الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام في وجه المنبر هذا أبعدهما (أي في الضلع الشرقي من المسجد) . ولما توفيت زينب بنت خديجة أدخل ، أي الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم سلمة بيتها^(٤) .

ويقول عمران^(٥) بن أبي أنس : أدركت حُجرات أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم كان منها أربعة أبيات بلين لها حجر من جريد ، وكانت خمسة^(٦) أبيات من جريد مطينه لا حجر لها . على أبوابها مسح الشعر ، وذرعت السترفوحونه ثلاثة أذرع في ذراع .

ويحدثنا ابن ابن أم سلمه رضى الله عنها ، عن حجرة جدته فيقول لما غزا الرسول

(١) ابن النجار ص ٧٣ .

(٢) العرعر : هو نوع من الخشب ، والساج : شجر صلب عظيم ، ونخشه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه ومنته بلاد الهند .

(٣) عيون الأثر ج ٢ ص ٢٩١ .

(٤) الواقدي ج ١ ص ٥٦ .

(٥) الاستيعاب ج ١ ص ٥٦ .

(٦) وفاء الوفا : ج ١ ص ٣٥٩ .

صلى الله عليه وسلم دومه ، بنت أم سلمه بلبن حجرتها فلما قدم نظر إلى اللبن فقال ، ما هذا البناء ؟ فقالت أردت أن أكف أبصار الناس ، فقال صلى الله عليه وسلم ؛ يا أم سلمه ان شر ما ذهب فيه مال المسلمين^(١) .

ويقول الذهبي : لم يبلغنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ولا أحسبه فعل ذلك ، إنما كان يريد بيتاً واحداً حينئذ لسوده بنت زمعة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى الله عنها في شوال في سنة اثنين ، فكانه صلى الله عليه وسلم بناها في أوقات مختلفة^(٢) .

حجرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان بيت فاطمة خلف بيت النبي صلى الله عليه وسلم عن يسار المصلى إلى الكعبة (أى فى الضلع الشرقى من المسجد) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا قام من الليل إلى المخرج ، أطلع منه يعلم خبرهم^(٣) . وكان يأتي بابها كل صباح فيأخذ بعضاديته ويقول : الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا^(٤) .

ويصف ابن النجار^(٥) بيت فاطمة فيقول : كان ست فاطمة فى موضع الزور مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه كوة^(٦) إلى بيت عائشة رضى الله عنها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى المخرج أطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم .

ويروى أن فاطمة قالت لعلى : أن ابني امسيا عليلين فلو نظرت لنا أدما

(١) الإصابة ج ١ ص ٥٧ .

(٢) صحيح مسلم : الفضائل ج ٤ ص ١٩٧٠ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) صحيح مسلم ج ١٤ ص ٤٤ .

(٥) أخبار مدينة الرسول ص ٧٤ .

(٦) الكوة : الفتحة الصغيرة أو الخرق فى الحائط .

نستصبح^(١) به ، فخرج على إلى السوق فاشترى لهم أدماً ، وجاء به إلى فاطمة فاستصبت^(٢) فدخلت عائشة المخرج في جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم ، وذكر كلاماً وقع بينهما . فلما أصبحوا سألت فاطمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يسد الكوة فسدها .

واعتماداً على الروايات السالفة يمكن أن نتبين في وضوح شكل ووصف حجرة السيدة فاطمة . فتقع الحجرة في الجهة الشرقية بالنسبة لمسجد الرسول وأنها تشترك مع جزء من حائط السيدة عائشة ، حيث جاء في بعض الروايات أن هناك الزور ، وهو عبارة عن مثلث في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد (حيث يوجد دورة مياه لقضاء الحاجة) . وأنه يوجد في الجدار المشترك بين الحجرتين مفتوح فيه كوة أو فتحة يمكن عن طريقها أن ترى السيدة عائشة كل ما يدور في حجرة السيدة فاطمة . وأن باب حجرة فاطمة لا بد وأن يكون شارعاً على الطريق ، وليس شارعاً في المسجد كباقي حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار^(٣) : وبیت فاطمة اليوم حوله مقصورة وفيه محراب ، وهو خلف حجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

منبر المسجد :

المنبر لغة من نبر ينبره رفعه ومنه المنبر بكسر الميم . وانتبر ، كل شيء مرتفع من شيء أو إقليم أو عمل . والكلمة أمهرية الأصل^(٤) .

جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم

(١) الأدم : يراد به هنا الزيت ، وأصله كل ما يؤكل .

(٢) تستصبح : أي تستضيء به .

(٣) ابن النجار : ص ٧٦ .

(٤) القاموس المحيط (باب الرداء فصل التون) .

يوم الجمعة^(١) (في خطبة الجمعة) . إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة^(٢) من الأنصار ، أوجعل : يا رسول الله ، ألا تجعل لك منبراً ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً .

ويحدثنا بريدة^(٣) عن قيام الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة فيقول : كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب (يوم الجمعة) فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه ، فأتى بجزع نخلة ، فحفر وأقيم إلى جنبه قائماً للنبي صلى الله عليه وسلم . فكان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه .

ويكمل بريدة الرواية فيقول . فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً إلى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدي في شيء يرفق به لصنعت له مجلساً يقوم عليه ، فإن شاء جلس ما شاء ، وشاء قام ،

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اثبتوني به ، فأتوه به فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع وهي الآن في مسجد المدينة . فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المهجرة . وما ذكره ابن سعد على أنه صنع في السنة السابعة لا يتفق مع ما جاء في الروايات الأخرى من أن تميم الداري هو صانعه ، ذلك أن تميم الداري وهو من أهل فلسطين ، قدم إلى المدينة المنورة سنة تسع . أما بالنسبة لغلام العباس فمن المعروف أن العباس قدم المدينة بعد فتح مكة أي في أواخر السنة الثامنة .

ويتضح لنا مما قدمنا من أقوال المؤرخين أنهم اتفقوا على منبر المسجد النبوي في عهده عليه الصلاة والسلام ، كان درجتين غير المجلس^(٤) . أما عن ذرعه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول ابن زبالة^(٥) : وطول منبر النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ذراعان في السماء وعرضه ذراع في ذراع ، وتربيعة سواء ، وفيه مما كان يلي

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٣٤١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٠١ .

(٣) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٤) المجلس : أي الموضع الذي يجلس عليه .

(٥) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٠٢ .

ظهره إذا قعد ثلاثة أعواد تدور . وما بين أسفل قوائم منبر النبي صلى الله عليه وسلم الأول إلى رمانته خمسة أشبار وشيء ، وعرض درجة .

الصفة وأهلها :

الصفة بضم الصاد وتشديد الفاء ، ظلّه في مؤخر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يأوى إليها المساكين وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل ^(١) . أما مكان الصفة ، فقد كانت القبلة قبل أن تُحوّل في شمال المسجد فلما حولت القبلة إلى حائط المسجد القبلي (الجنوبي) وحلت الصفة في ضلع المسجد الشمالي ^(٢) .

وهكذا اوضحت الصفة في مؤخر المسجد النبوي في مكان مظلل ، أعد لتزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر ^(٣) .

وروى البيهقي عن عثمان بن الهيثم قال : لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار مأوى أنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ونماهم أصحاب الصفة ، فكان يحالسهم ويأنس بهم ^(٤) .

ويبدو أن أهل الصفة كانوا في حالة من الفقر والحرمان حتى أن بعضهم كان يخرج من قامته من الخصاصة ^(٥) ، حتى يقول الأعرابي مجانين ، وهم أهل الصفة ، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آتاهم فوقف عليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تردادوا فقراً وحاجة .

(١) أخبار مدينة الرسول ص ٨٢ .

(٢) ابن اسحاق السيرة ج ٤ ص ١٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٨٨ .

(٤) عيون الأثر ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٥) الخصاصة بفتح الخاء المعجمة ، وهي الفقر والحاجة . وجاءت في القرآن الكريم ﴿يؤثرون الناس على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة﴾ .

ومن حديث أبي هريرة ، وهو واحد من أهل الصفة قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء ، ولكن إما إزار وإما كساء قد ربطوه ، فنها ما بلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته^(١) .

على أننا إذا تحرينا الدقة لمعرفة السبب الذي من أجله خصص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المكان البارز البعيد عن صفوف باقي المصلين ، لعرفنا أن رسول الله الذي وصفه ربه فقال : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ أراد أن يبرز فقراء المسلمين في مكان مخصوص معلوم ، حتى يراهم الأغنياء والموسرون فيجودون عليهم دون أن يعرضهم للسؤال .

خلافة أبي بكر :

أما عن المسجد في خلافة أبي بكر فلم يذكر كتاب السير أن أبا بكر الصديق قد أضاف جديداً في المسجد النبوي ، وذلك لقصر المدة التي قضاها في الخلافة ، هذا فضلاً على انشغاله بحروب الردة .

فقد روى البخاري وأبو داود عن ابن عمر ، أن أبا بكر رضي الله عنه لم يزد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، وزاد فيه عمر .

وفي رواية أخرى لأبي داود أن سوارى (أى أعمدة) مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، نخرت في خلافة أبي بكر الصديق ، فبناها بجذوع النخيل .

على أنه لا يوجد تعارض في أقوال أبي داود ، فقد قال في الرواية الأولى أنه لم يزد شيئاً في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . ويفهم من الرواية الثانية أنه لم يصف شيئاً بل بدل الأعمدة المنخورة بأعمدة خشبية جديدة . وذلك كما أجمع أهل السير لانشغاله بحروب الفتوح^(٢) .

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٤٥٤ .

(٢) وفاة الوفا ج ٢ ص ٤٨١ .

لما تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد وفاة أبي بكر الصديق ، قال : إني أريد أن أزيد في المسجد الشريف ، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ينبغي أن يزداد المسجد » ما زدت فيه شيئاً .

وفي رواية لابن عمر قال : إن الناس كثروا في عهد عمر بن الخطاب ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين ، لو وسَّعت في المسجد فقال عمر : لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا » ما زدت^(١) فيه .

ويذكر ابن زبالة^(٢) عن أنس قال : لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر الصديق ، لم يحول المسجد (النبوي) ، فلما ولي عمر بن الخطاب جعل أساطينه من لبن ، ونزع الخشب ومنده في القبلة . وكان حد جدار عمر من القبلة على أول الأساطين القبلة التي إليها المقصورة ، أي التي كانت بين صف الأساطين التي تلي القبلة على الرواق القبلي (الجنوبي) ثم مدوا مقاطاً^(٣) ، فوضعوا طرفه بيد الرجل ، ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه ويؤخرونه حتى رأوا أن ذلك فيه بما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزيادة فقدم عمر القبلة ، فكان موضع جدار عمر في موضوع عيدان المقصورة^(٤) .

ومن البديهي أن عملية التوسعة هذه كانت تقتضي إزالة المباني والدور المحيطة بالمسجد . على أن هذه العملية لم تكن بالموضوع السهل الهين ، ذلك أن حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت تشغل معظم الضلع الشرقي وخاصة الجزء المحاذي لحائط القبلة ، كما كانت دار العباس عم الرسول تقع خلف حائط القبلة ، وقد رفض التخلي عنها بأي صورة من الصور .

فقد ذكر ابن سعد^(٥) عن سالم أبي النضر قال : لما كثروا المسلمون في عهد عمر

(١) ابن النجار ص ٩٣ .

(٢) وفاء الوفا ج ٢ ص ٤٨١ .

(٣) القمط : حبل صغير شديد الفتل يكاد يقوم من شدة فتله (ابن الأثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٩٣) .

(٤) وفاء الوفا ج ٢ ص ٤٨٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٨٨ .

وكان ميزاب دار العباس يسيل المطر منه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام عمر بيده فقلع الميزاب ، فقال : هذا الميزاب لا يسيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له العباس ، والذي بعث مُحمداً بالحق إنه هو الذي وضع هذا الميزاب في هذا المكان ونزعتة أنت يا عمر . فقال عمر رضى الله عنه ، ضع رجليك على عنقي لرده إلى ما كان ، ففعل ذلك العباسي^(١) .

وروى أن نزع الميزاب كان قبل مشكلة الدار ، لأنه كان يسكب الماء داخل المسجد للزوجة^(٢) به عن رواية ززين .

أما عن مساحة^(٣) المسجد النبوي في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول يحيى عن ابن عمر « أن المسجد كان طوله من القبلة إلى الشام (أى إلى الضلع الشمالى على عهد عمر رضى الله عنه أربعين ومائة ذراع وعرضه (أى الضلع الممتد من الشرق إلى الغرب) عشرون ومائة ذراع . وطول السقف أى (ارتفاعه) أحد عشر ذراعاً »^(٤)

ولما كان عمر بن الخطاب أبى حجرات أمهات المؤمنين كما هى ، وهى كما نعرف في الضلع الشرقى من المسجد ، إذن فزيادة عمر كانت من الجهة الغربية ، وهى عشرون ذراعاً ، وبذلك يكون نهاية المسجد في زمنه من جهة الاسطوانة السابعة من غربى المنبر .

أما الزيادة التى أضافها عمر بن الخطاب إلى طول المسجد وهى أربعون ذراعاً ، فقد زاد عشرة منها في جهة القبلة وثلاثين في جهة الشام (الشمال) .

ومن الدور التى أضافها عمر بن الخطاب غير دار العباس ، إلى المسجد النبوي ، فهى كما يقول السيد القرافى في ذيله . واشترى عمر أيضاً نصف موضع كان خطة

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٤٩٠ .

(٢) لزوجة : أى ملتصق بالمسجد .

(٣) تحقيق النصرة ص ٤٦ .

(٤) وفاة الوفا ج ٢ ص ٤٩٤ .

الرسول صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبي طالب وهو بالحبشة . وكان ثمن الدار بمائة ألف درهم فزاده في المسجد^(١) . وفي رواية ليحيى ، أن الذي اشترى دار جعفر بن أبي طالب هو عثمان بن عفان^(٢) .

أما في خلافة عثمان بن عفان لقد جاء في صحيح^(٣) البخارى وفي سنن أبي داود عن ابن عمر أنه قال : إن المسجد كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مبنياً باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم باللبن والجريدة وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان بن عفان فزاد فيه زيادة كبيرة ، فبنى جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصة^(٤) ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج .

وجاء في صحيح مسلم عن محمود بن لبير قال : إن عثمان بن عفان أراد وزاد في أبوابه فأضحت باب النساء ، وباب مروان ، أى الباب المعروف بباب السلام ، والباب الذى يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم ، أى المعروف بباب جبريل ، وبابين في مؤخر المسجد (أى الضلع الشمالى) .

روى ابن زبالة^(٥) وابن شبه^(٦) عن ابن سعد عن أشياخه أول من عمل المقصورة بالمسجد النبوى بلبن هو عثمان بن عفان . وأن المقصورة تحتوى على كوى (أى فتحات أو نوافذ صغيرة) ينظر الناس منها إلى الإمام . وأنه استعمل عليها السائب بن خباب ، وكان رزقه دينارين في كل شهر . فلما توفى ، خلفه أولاده الثلاثة مسلم وبكير وعبد السلام ، فتواسوا في الدينارين ، فجريا في الديوان على ثلاثة منهم .

(١) عمدة الأخبار ص ١٠٦ .

(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٩٤ .

(٣) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٤) القصة : بفتح القاف وتشديد الصاد مفتوحة ، هى الجص . وقد سمي موضع قريب من المدينة لئى القصة لأن ترتبه تحتوى على الجص .

(٥) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٥١٠ .

(٦) ابن شبه ج ١ ص ٦ .

عبد الرحمن بن عوف بدارهم ، فأبوا فهدمها عليهم وأدخلها في المسجد . وهنا يقول عبد الرحمن بن حميد ، فذهب لنا متاع في هدمهم . داخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف ، وأدخل دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القراء . كذلك أدخل أبيات هاشم بن عتبة بن أبي وقاص . ومن الجهة الغربية أدخل داراً كانت لطلحة بن عبيد الله ، وداراً كانت لأبي سيرة بن أبي رهم كانت في موضع المربعة في غربى المسجد . وداراً لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبي سبرة^(١) .

كذلك أدخل بعض دار العباس بن عبد المطلب ، وداراً كانت لمخاريق مولى العباس بن عبد المطلب^(٢) .

وعن السنة والتاريخ الذى بدأ فيه عمر بن عبد العزيز في إعادة بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اختلفت فيه الروايات كذلك .

فيقول ابن زبالة مثلاً : وهدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ، وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقصة (أى الجص والمونة) بطن نخل ، وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج (وطلاه) بماء الذهب^(٣) .

ويضيف قدمة بن موسى فيقول : إن عمر بن عبد العزيز أحمّر النورة التي تعمل بها الفسيفساء (ميدة) سنة . وحملوا القصة من بطن نخل ، وعمل الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص^(٤) . وكان طول المسجد مائتي ذراع وعرضه في مقدمته مائتين وفي مؤخره ثمانين ومائة^(٥) .

ويحدثنا صالح بن كيسان عن تاريخ بداية العمل في المسجد النبوى فيقول : لما

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٥١٧ .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ٢٤٠ .

(٣) تحقيق النص ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) معالم دار الهجرة ص ٢٢١ .

(٥) ابن النجار ص ١٠٠ .

جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمسة عشرة (عاملاً) فجرد في ذلك عمر بن عبد العزيز ، واستعملني (أى صالح بن كيسان) على هدمه وبنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى قدم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

ويضيف ابن عمار عن جده فيقول : وكان في موضع صلاة الجنائز ، أى شرق المسجد في زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان ، نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فيصلى عليهما . فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما عند هدم المسجد وذلك سنة ثمان وثمانين ، فاقتلت فيهما بنو النجار من الأنصار ، فابتاعها عمر بن عبد العزيز فقطعها^(١) .

ويقول في هذا الشأن حفص بن مروان عن أبيه : إن عمر بن عبد العزيز مكث في بناء المسجد النبوي ثلاث سنين .

وفي اعتقادنا أن أقرب الروايات إلى الصواب هو ما رواه ابن زبالة^(٢) وأيده ابن النجار^(٣) وهو أن البدء في هدم المسجد النبوي وعمارته ثمان وثمانين . وأن عمر بن عبد العزيز ، استمر في تحصيل ما يحتاجه من مواد البناء وأدواتها وشراء الأماكن وتخميم النوره إلى سنة إحدى وتسعين .

ومن ثم فإن ابتداء عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد النبوي ، كان سنة ثمان وثمانين وفرغ منه سنة إحدى وتسعين ، وفيها حج الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وكان عمر بن عبد العزيز لا يألو جهداً في سبيل تحسين المسجد وإظهاره بالمظهر اللائق بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين أجمعين ، فقد روى يحيى عن الثوري أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عمله نَقَّله^(٤) عمر ثلاثين درهماً .

(١) المطري ص ٦٥ .

(٢) وفاة الوفا ج ٢ ص ٥٢٢ .

(٣) ابن النجار ص ١٠٠ .

(٤) نقله أى اعطاه زيادة عن أجره المقرر واستعمل فيما يعطى للمقاتلين من الغنائم .



وجاء في كتب السيرة ، أن عمر بن عبد العزيز جعل لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حين بناه أربع منارات في كل زاوية منه منارة^(١) .

ويضيف كثير بن حفص : وكانت المنارة الرابعة مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن ، فأطل عليه فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد وبابها على باب المسجد ، مما يلي دار مروان من قبل المسجد^(٢) .

ويحدد ابن زبالة ذراع المنارات فيقول : ولمسجد الرسول ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعاً تقريباً ، ذلك أن طول المنارة الشرقية البانية (أى في الركن الجنوب الشرقى) في السماء خمس وخمسون ذراعاً . والمنارة الشرقية الشامية (الشرقية الشمالية) خمس وخمسون ، والمنارة الغربية الشامية (الشمالية) ثلاث وخمسون . وعرض المنارات (أى حجم القاعدة) ثمان أذرع في ثمان أذرع^(٣) .

أما عن الشرفات والمحراب الذى اتخذهُ عمر بن عبد العزيز في المسجد النبوى ، فيقول يحيى^(٤) عن ابن عباس عن أبي : مات عثمان بن عفان وليس في المسجد شرفات ولا محراب ، فأول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز .

والشرفات ، اصطلاح معمارى يقصد به الزخارف البنائية التى تعلو العائىر أو تشرف عليه ومن ثم جاء اسمها ، وهى تعرف فى الإنجليزية (Cresting) . وهذه الشرفات إلى جانب أنها عنصر زخرفى معمارى ، فهى فى نفس الوقت تحمى العائىر من أن يتسلقها اللصوص أو من تسول له نفسه بالقيام بأى عمل يضر بالمبنى^(٥) .

والمحراب المجوف (Concave) لم يكن معروفاً فى المساجد قبل عصر

(١) سيرة بن هشام ج ٣ ص ١٠٢ .

(٢) الإصابة ج ٨ ص ٢٤٠ .

(٣) وفاة الوفا ج ٢ ص ٥٢٦ .

(٤) وفاة الوفا ج ٢ ص ٥٢٦ .

(٥) معاد ماهر : مساجد مصر ج ١ ص ٢٠ .

الوليد بن عبد الملك ، وإن أول من أحدث المحراب المخوف هو عمر بن عبد العزيز في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولما كانت المصادر التاريخية سجلت أن القبط بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخرته ، فكان المحراب إذن في الجزء الذي بناه القبط .

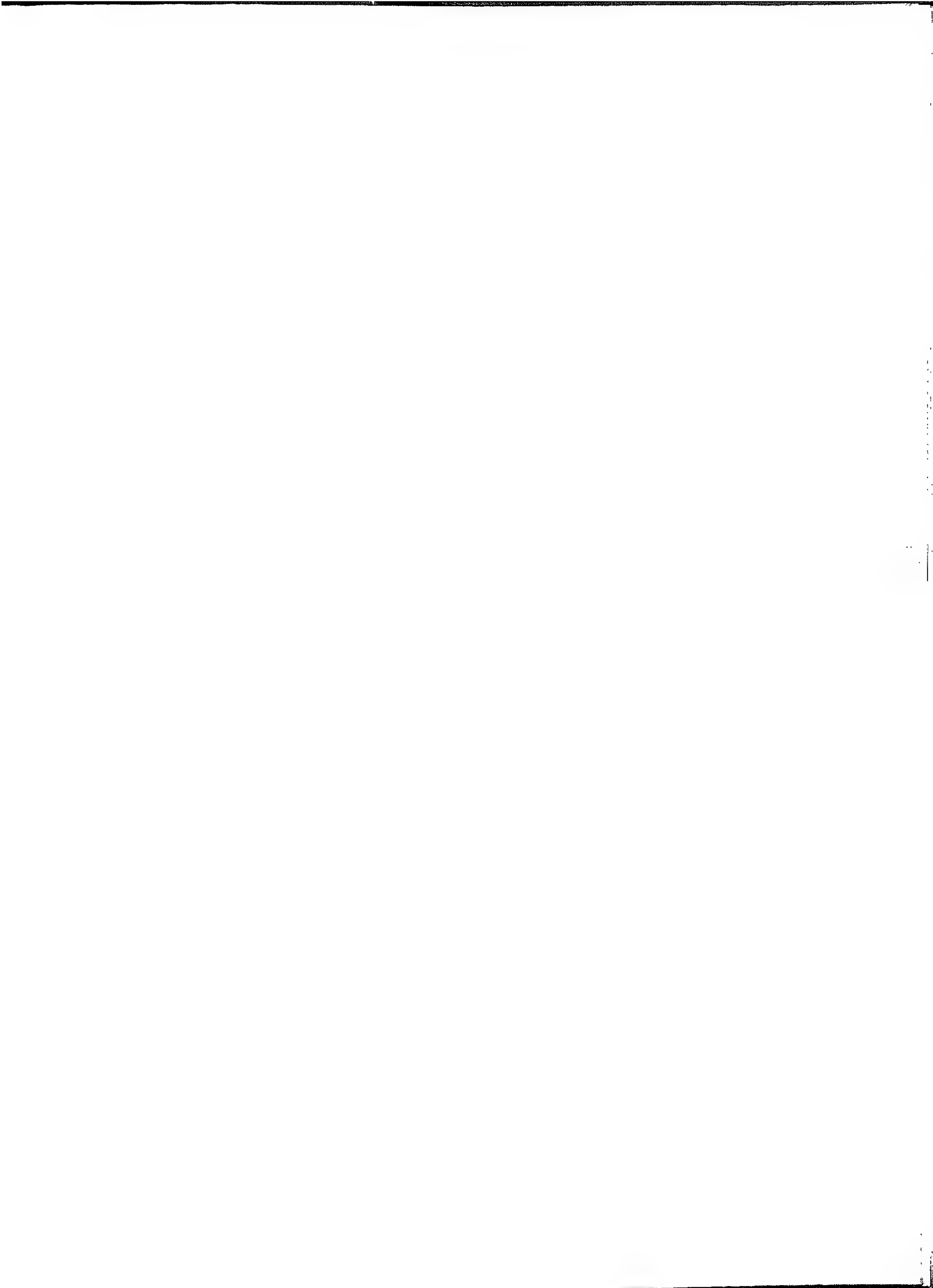
ولما كان شكل المحراب المخوف مشتقاً من الكنائس لذلك نجد الكثير من المؤرخين لم يرتاحوا إلى هذا الشبه ، وما لبثوا أن استخرجوا حديثاً نسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن ظهور المحاريب التي تجعل المساجد تشبه الكنائس علامة من علامات الساعة . وكتب بعض الفقهاء في ذلك فقالوا : « إن المحراب أقل أجزاء المسجد قداسة » بل إن السيوطي ألف رسالة بتمامها « أعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب »^(١)

ومن العادات التي استحدثت كذلك في عهد عمر بن عبد العزيز اتخاذ حرس للمسجد ، فقد روى ابن زبالة^(٢) عن موسى بن عبد الله ، أن عمر بن عبد العزيز قد استأجر حرساً للمسجد لا يحترق فيه أحد .

وقد كان السبب في اتخاذ الحرس هو منع الناس من الصلاة على الجناثر في المسجد . وقد اختلفت الآراء في جواز الصلاة على الجناثر فيه .

(١) سعاد ماهر : مساجد مصر ج ١ ص ٢٢ .

(٢) وفاء الوفا ج ٢ ص ٥٣١ .



ويستكمل ابن النجار الأعمال التي أجريت للمسجد النبوي في عهد الخليفة المهدي فيقول : ثم خفض المقصورة وكانت مرتفعة قدر ذراعين عن أرض المسجد ، فوضعها على الأرض ، على حالها اليوم (أى القرن السابع الهجرى) . وسد على آل عمر خوختهم التي في دار حفصة حتى كثر الكلام فيها ثم صالحهم على أن يخفض المقصورة ، وزاد في المسجد لتلك الخوذة ثلاث درجات . وحفرت الخوذة حتى صارت تحت أرض المقصورة ، وجعل عليها في جدار القبلة شبك حديد فهو عليها ^(١) .

ويقول ابن زباله ^(٢) انه قد فرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة . ويضيف ابن النجار ^(٣) فيقول : وكتب على أثر الكتابة التي كتبها عمر بن عبد العزيز في صحن المسجد النص الآتي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمر عبد الله المهدي أمير المؤمنين أكرمه الله وأعز نصره بالزيادة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأحكام عمله ابتغاء وجه الله عز وجل . والدار الآخرة أحسن الله ثوابه بأحسن الثواب والتوسعة لمن صلى فيه من أهله وأبنائه من جميع المسلمين فأعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من حسنة في ذلك وأحسن ثوابه ^(٤)

ثم كتب أم القرآن كلها :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ • إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ • اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

ثم كتب بعدها : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

(١) ابن النجار ص ١٠٤ .

(٢) تحقيق النصرة ص ١٠٤ .

(٣) ابن النجار ص ١٠٤ .

(٤) عمدة الأخبار ص ١١٨ .

وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

ثم كتب بقية النص التاريخي^(٢) (وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وستين ومائة وفرغ منه سنة خمس وستين ومائة . فأمر المؤمنين أصلحه الله ، يحمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسعته حمداً كثيراً والحمد لله رب العالمين على كل حال^(٣) .

وقد عدّد ابن زباله ويحيى البناية والدور التي ابتاعها الخليفة المهدي ، فقالا عن الزهيري . وكان لما أدخل في المسجد من الدور دار مليكة التي باعها عبد الله من معاوية ، فصارت من الصوافي ، فأدخلها المهدي في المسجد . وقالوا وأدخل دار شرحبيل بن حسنة ، وكانت صدقة ، فابتاعوا دوراً ومنازل فأوقفوها صدقة . وباعوا صدرها من المهدي فزادها في مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة إحدى وستين ومائة^(٤) .

واستطرد ابن زباله^(٥) في ذكر باقي الدور التي أدخلها المهدي في المسجد النبوي فقال : وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التي يقال لها دار القراء ، ودار المشور بن مخزومه بن نوفل بن آهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتقع دار مخزومة في زاوية المسجد عند المنارة الشرقية (البمانية)^(٦) ، فاشتري المهدي بعضها فأدخله في رحبة المسجد القصيا وفي الطريق^(٧) ، وبيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض

(١) سورة التوبة آية رقم (١٨) .

(٢) ابن النجار ص ١٠٥ .

(٣) ابن النجار ص ١٠٥ .

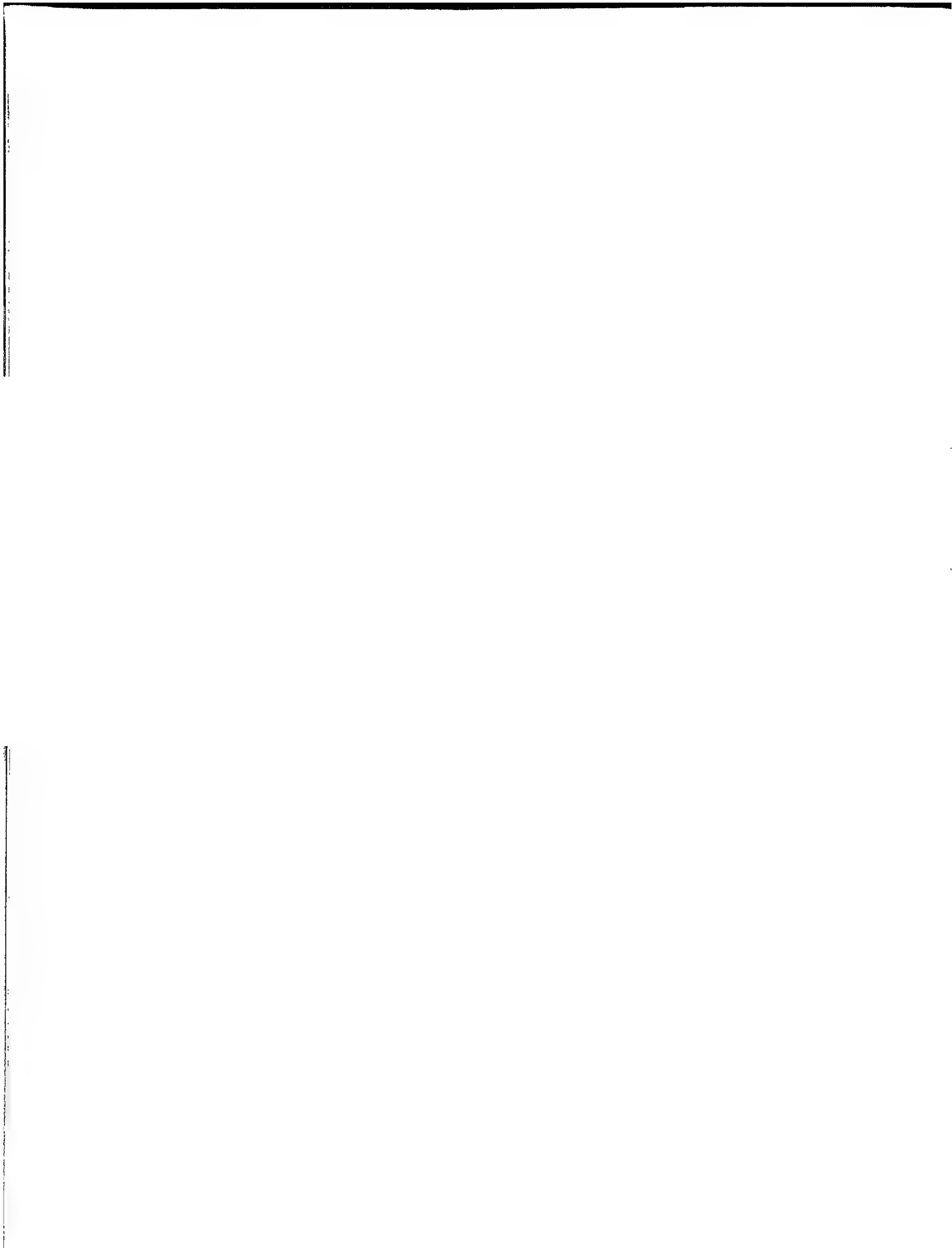
(٤) وفاء الوفا ج ٢ ص ٥٣٨ .

(٥) تحقيق النص ص ٥٤ .

(٦) ذكر ابن شبه أن الدار تقع عند المنارة الشرقية البمانية أي الجنوبية وهذا غير صحيح لأن المدى زاد في مساحة المسجد من الجهة الشمالية وعلى ذلك يكون المقصود هو المنارة التي في الركن الشمالي الشرقي .

(٧) ابن شبه ج ١ ص ٢٣٢ .

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100



دخول أحد قوّة المسجد في المخزن الذي في الجانب الغربي من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمناثر المسجد ، فاستخرج منها ما احتاج إليه ، ثم ترك الضوء الذي كان في يده على قفص من أقفاص القناديل (في) الرواق الأوسط الذي يلي الرواق الذي سبقت عمارته ، وقلعوا السقف الأسفل المحاذي لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف .

وكان من أقدم السقف ، ومع ذلك تعبوا في قلعه أكثر من غيره لإتقانه وإحكامه فإنه من عمل الأقدمين ، فقد وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه ، ثم أعادوه وأصلحوا شيئاً في السقف الشامي كما جددوا أيضاً دهان بعض السقف التي حول الحجرة داخل المقصورة التي تعرف بالحجرة من غير قلع لتلك السقف .

عمارة المسجد النبوي (بعد الحريق الثاني سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م)

وإذا كان المسجد النبوي قد تعرض للحريق الأول نتيجة إهمال قومه فإن الحريق الثاني كان قضاء وقدرًا ، إذ إنه حدث بسبب سقوط صاعقة أصاب بعضها هلال المئذنة التي تقع في الركن الجنوبي الشرقي والتي تعرف باسم المنارة الرئيسية وذلك في عام سنة ٨٨٦ هـ / سنة ١٤٨١ م .

ويحدثنا السهودي عن هذا الحريق وسببه ، حديث شاهد عيان فيقول لقد احترق المسجد النبوي أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان ، وذلك أن رئيس المؤذنين وصدر المدرسين الشمسي شمس الدين محمد بن الخطيب قام يُهَلِّلُ حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالرئيسية ، وصعد المؤذنون بقية المنائر ، وقد تراكم الغيمُ حصل رعد قاصف أيقظ النائمين ، فسقطت صاعقة أصاب بعضها هلال المنارة المذكورة ، فسقطت في المسجد ولها لهب كالنار ، وانشق رأسُ المنارة ، وتوفي الرئيس المذكور لحينه صِعْقاً ففقد من كان على بقية المنائر صوته ، فنادوه فلم يجب ، فصعد إليه بعضهم فوجده ميتاً .

وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقباً كالترس ، وعلقت النار فيه وفي السقف الأسفل ، ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد وقبل إسراجه ، ونودي بالحريق في المسجد ، فاجتمع أمير المدينة وأهلها بالمسجد الشريف ، وصعد أهل النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار ، وقد التهب سريعاً في السقفين ، وأخذت لجهة الشمال والمغرب ، فعجزوا عن

إطفائها ، وكلما حاولوه لم تزد إلا إلهاباً واشتعالاً ، فحاولوا قطعها بهدم بعض ما أمامها من السقف ، فسبقتهم لسرعتها ، وتطبق المسجد بدخان عظيم .

فخرج غالب من كان به ، ولم يستطيعوا المكث ؛ فكان ذلك سبب سلامتهم ، وهرب من كان بسطح المسجد إلى شماليه ، ونزلوا بما كان معهم من حبال الدلاء التي استقوا بها الماء بخارج المسجد على المضيأة والبيوت التي هناك وما حول ذلك ، وسقط بعضهم فهلك ، ونزل طائفة منهم إلى المسجد من الدراج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع من حالت الناريته وبين أبواب المسجد ممن كان أسفل ، ومنهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسي شمس الدين محمد بن المكين المعروف بالعوفي ، فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعك سابق ، رحمه الله (١) .

واحترق من الخدام الزينى شند نائب خازن دار الحرم ، تغمده الله برحمته . ! ومات جماعة تحت هدم الحريق من الفقراء وسودان المدينة ، وجملة من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفساً ، وكانت سلامة من بقى بالمسجد على خلاف القياس ؛ لأن النار عظمت جداً حتى صارت كبحر لجى من نار ، ولها زفير وشهيق وألسن تصعد في الجو ، وصار لفحها يؤثر من البعد حتى أثرت في النخلات التي بصحن المسجد ، وعلق منها شيء بالمنارة الرئيسية فاحترقت ، ووصلت النار لثياب الرئيس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته .

وصارت النار ترمى بشرر كالقصر فتسقط بالبيوت المجاورة للمسجد ، ومع ذلك فلا تؤثر فيها ، حتى سقط بعض الشرر على سعف فلم يحترق ، وحمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها .

ونقل عن جمع كثير أنهم شاهدوا حينئذ أشكال طيور بيض كالأوز يحومون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران .

وأخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجازى أن شخصاً

(١) وفاة الوفا ج ٢ ص ٦٣٢ .

من العرب صادق الكلام رأى في المنام ليلة ثاني عشر من شهر رمضان أن السماء فيها جراد منتشر ، ثم أعقبته نار عظيمة ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم النار وقال لها : أمسكها عن أمتي ، فجزاه الله عن أمته - خصوصاً عن جيرانه - أفضل ما جزى نبياً عن أمته .

ويقول الشمس^(١) العثماني : هذا ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدهشة العظيمة والحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار ومنظرها الفظيع ، حتى أيقن بعضهم بالهلاك ، وانتقل بعض أهل الدور منها لما وصل إليهم الشرر ، وخرج بعضهم من باب المدينة الذي يلي البقيع ، وبعضهم من بابها الذي يلي المصلى ، وظنوا أن النار محيطة . ٣٢ .

قال الشمس العثماني : وصار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضجيج ، وبالدعاء عجيج ، قال : وأمر هذه النار عجيب ، وليس الخبر كالمعاينة ، وصار المسجد كالتنور ، ولم يمض أقل من عشر درج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، غير ما وقعت المبتدرة لإخراجه أولاً وهو يسير ، وغير القبة التي بصحن المسجد ، وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول . وكنت قد تركت كتبي بالخلوة^(٢) .

فاتفق أن أمير المدينة حسن بن زبيري المنصوري حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة والسيوف المسلولة ، فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد وتسعمائة .

وأمر خازن دار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل ، فامتنع من ذلك ، فضره ضرباً مبرحاً ، ثم عمد إلى باب الحاصل وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبايك ، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين ، ثم ذهب إلى حصنه وأحضر الصياغ وسبك تلك القناديل وذكر أنه

(١) شمس العثماني ص ٩٥ .

(٢) شمس العثماني ، ص ٩٦ .

صنع ذلك إمرة المدينة ؛ لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليه أمر الحجاز وأن المشار إليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الإقطاع ومن الصدقات ، وعطل عليه أهل مصر بعض إقطاعه ، فحمله ذلك على ما سبق .

بعد هذا العرض الموجز لما تم من عمارة المسجد النبوي في العهد المملوكي بعد الحريقين اللذين تعرض لهما المسجد في سنة ٦٥٤ هـ في عهد دولة المماليك البحرية وفي سنة ٨٨٦ هـ في عهد المماليك الجراكسة ، نود أن نجمل المبالغ التي رصدت والمواد التي استعملت في إصلاح وتعمير المسجد النبوي الشريف .

ولما بلغ الخبر السلطان الأشرف قايتباي خبر الصاعقة واحتراق المسجد وجه الأمير سنقر إلى المدينة لعمارة المسجد ومعه ما يزيد على مائة ضائع والآلات اللازمة ، وشرعوا في العمارة فبدأوا بالثلثة الرئيسية فبنوها ، ثم بنوا الجدار القبلي والشرقي إلى باب جبريل .

وزادوا في عرضه يسيراً ، ووسعوا المحراب العثماني وأقاموا عليه قبة على رؤوس الأساطين التي حوله بعد أن دعموا كل أسطوانة بأخرى وربما دعموا الواحدة بأربع .

وأقاموا على جدر الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذي كان عليها ، وجعلوا فوق القبة قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التي أحدثوها فضيقت الجهة الشرقية فخرجوا بجدار المسجد ذراعين وربعاً .

وأحدثوا أسطوانة في رأس مثلث الحجرة ، وأقاموا قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرة بين الحجرة النبوية والجدار القبلي ، وقبتين أخريين أمام باب السلام من الداخل .

وبنوا هذا الباب بالرخام الأسود والأبيض ، وزخرفوه كما زخرفوا المحراب العثماني ، وأعادوا ترميم الحجرة الشريفة وما حولها والجدار القبلي ، وصنعوا منبراً ، واتخذوا « دكة » للمؤذنين من الرخام ، وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوي .

واتخذوا محراباً مجوفاً للمسجد الشريف في دعامة أقاموها بين المنبر والقبر على حد مسجده الأصلي ، وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون ، وجعلوا المقصورة في محلها الأول . وبنوا الجدار الغربي من باب الرحمة إلى باب السلام ، وبنوا مثناة باب الرحمة .

وجعلوا الأعمدة قصيرة فوقها عقود من الآجر عليها السقف من الخشب ، وبنوا مدرسة بجوار المسجد بين باب السلام وباب الرحمة ، ولا تزال باقية للآن وتعرف بالمحمودية ، وقد أنفق قايتباي على هذه العمارة ما قيمته ١٢٠٠٠٠ دينار أو ما يقرب من ٦٠٠٠٠ جنيه (١) .

(١) معالم دار الهجرة ص ٢٥٥

عمارة المسجد النبوي في عهد الدولة السعودية

لقد افتتح المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية عهده في الحجاز بترميم المسجد النبوي الشريف فأمر بترميم أرض المسجد بما يلي رحبته في الجهات الأربعة وكان ذلك (١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) . كما قويت الأعمدة التي حدث بها تشقق وذلك بربطها بأطواق حديدية وذلك في أعمدة الجهة الشرقية والغربية للرحبة ، وقد تم ذلك (١٣٥٠ هـ / ١٩٣٥ م) .

وفي (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) رمت كل الأجزاء المتصدعة بالمسجد النبوي من الأعمدة والجدران والنوافذ والأبواب ، وكذا طلاء المسجد من الداخل والخارج ، وذلك من الأموال الموقوفة عليه بمصر .

وفي أوائل عام ١٣٦٨ هـ أصدر جلالة الملك عبدالعزيز آل السعود ، رحمه الله ، بياناً إلى العالم الإسلامي يشرع به على توسعة المسجد النبوي ثم أصدر أوامره إلى الحكومة بإنشاء مكتب خاص لمشروع التوسعة زود بالموظفين والمهندسين والفنيين . وتشكيل لجنة لتقييم قيم العقار ووضع المخططات اللازمة للتوسعة .

على أن التفكير في مشروع المسجد النبوي الشريف لم يكن طارئاً لدى المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بل إنه كان يحول في خاطره منذ أمد بعيد حتى أذن الله سبحانه وتعالى له أن يخرج إلى عالم الوجود .

ففي عام ١٣٦٨ هـ تفضل جلالاته فأصدر كتاباً مفتوحاً موجهاً إلى جريدة المدينة يشر فيه العالم الإسلامي بعزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف ، وقد نشر هذا

الكتاب في الجريدة المذكورة في عددها الصادر بتاريخ رمضان عدد ٣٠١ سنة ١٣٦٨ هـ .

ومنذ ذلك التاريخ أخذ المشروع طريقه للدرس حتى وصل إلى المراحل العملية وفيما يلي تفاصيل مراحل العمارة الجلية في أدوارها المختلفة .

في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ بدأ في تنفيذ مشروع عمارة الحرم النبوي الشريف ، وكان أول ما بدأ به هو الدور المحيطة بالمسجد والتي انتزعت ملكيتها واستمر العمل جارياً في نقل أنقاضها ومتخلفاتها وكل ما استلزمه الحال .

ومن ثم فقد بدىء في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٢ هـ في بناء العمارة الشريفة . وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ هـ زار جلالة الملك سعود المدينة المنورة وبني بيده عمارة المسجد ووضع أربعة أحجار في إحدى زوايا الجدار الغربي بالمسجد الشريف تأسيساً بالنبي صلى الله عليه وسلم .

كما أنشئ مكتب خاص لمشروع التوسعة الذي أمر بتكوينه جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وبه أكثر من خمسين موظفاً يعملون في الأعمال الإدارية والفنية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل مثل : المكتب الرئيسي - قسم التحرير - القسم الحسابي - قسم الصندوق - القسم الفني - قسم المستودعات .

كما شكلت لجنة خاصة من كبار رجال المدينة لتقدير قيم العقار وقد روعى في ذلك مصلحة أصحاب الأملاك وقُدِّرت لهم بأوفى ثمن .

وقد بلغت مساحة الأراضي والدور والأملاك التي انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين التي حول المسجد النبوي الشريف (٢٢٩٥٥) متراً مربعاً كذلك أنشئ من أجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (المزايكو) وزود بكافة الأدوات الميكانيكية واختير له مكان في منطقة أبيار علي حيث جلب له مهندسون أخصائيون وعمل تحت إشرافهم أكثر من أربعائة عاملاً .

وكان عدد المهندسين الذين عملوا بالحرم الشريف أربعة عشر مهندساً منهم اثنا عشر مصرياً وواحد من سوريا وواحد من باكستان ، وعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتي عامل من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمنيين والحضارمة كما عمل معهم أكثر من ألف وخمسمائة عامل من السعوديين .

وقد استحضرت رافعات وسيارات ضخمة ودراكرات وآلات مختلفة ميكانيكية من أحدث الآلات الفنية وكلها عملت في عمارة الحرم الشريف وزاد مجموعها على أربعين قطعة ، هذا وقد استعمل ميناء ينبع لترسوبه البواخر التي تحمل الأخشاب والحديد والأسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة الشريفة ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة . وقد رست به أكثر من ثلاثين باخرة جاءت خصيصاً بمواد الحرم الشريف وقد بلغ مجموع ما أفرغته في الميناء (ما يزيد على ثلاثين ألف طن) من الحديد والأسمنت والأخشاب والمواد المختلفة . وهذا وقد كان من الضروري أن تخصص مصانع لهذا العمل الضخم فأنشئت ورشة خاصة بالمدينة زوّدت بالمهندسين الميكانيكيين والصّناع وكلهم سعوديون لأجل تعمیر وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التي تعمل بالعمارة الشريفة .

لم يكن يمضى على التوسعة السعودية الأولى سوى عام واحد حتى ظهر للمغفور له الملك فيصل رحمة الله عليه ، الحاجة الملحة إلى زيادة رقعة المسجد النبوي نظراً لازدياد عدد الحجاج للأسباب السالف الإشارة إليها .

ومن ثم فقد أصدر الملك فيصل أمره بمباشرة هذه التوسعة الثانية للمسجد في العهد السعودي . وقد رأى جلالة الملك فيصل بثاقب فكره ورغبة منه في الحفاظ على كل ما يسجل^(١) ويوثق تاريخ المسجد النبوي وعلى المدينة المنورة وذلك من خلال المباني التي ما تزال باقية ، فقد رأى الاحتفاظ بمباني المسجد القديمة بعد ترميمها ، كما

(١) وإلى الملك فيصل يرجع الفضل في بقاء المباني الأثرية القديمة بالحرم المكي ، فقد منع جلالة هدم المباني القديمة ، بل أمر بترميمها وإضافة التوسعة المطلوبة حولها . ومن ثم فإن الحرم يحفظ حتى الآن بوثائق تاريخية مسجلة على أعمدته ترجع إلى الخليفة المهدي العباسي (١٦٤ هـ) .

رأى إبقاء العمار المحيطة من الجهة القبلىة والشرقية وكذا الشمالىة بقدر الإمكان على أن تكون الزىادة من الجهة الغربىة .

وهكذا صدر أمر جلالة الملك فىصل رحمة الله عليه بمباشرة هذه التوسعة والى قدر أن تم كلها فى الناحىة الغربىة للمسجد بحيث تبدأ من الضلع الغربى وتمتد حتى تصل إلى الشارع العىنى ، وبذلك يكون طول هذه الزىادة (١٦٥) متراً . كما تمتد من الجنوب (القبلى) الغربى إلى الشمال الغربى حتى (الساحة) بطول يبلغ مقداره (١٨٥) متراً تقريباً .

ومن ثم فإن مجموع مساحة التوسعة الجديدة ما ىنىف على (٢٦٠٠) متر مربع وهكذا أصبحت الزىادة السعودىة الثانىة أكبر من مساحة المسجد القدىم بما ىساوى الثلث ، ذلك أن مساحة القدىم كانت (١٦٣٢٧) متراً مربعاً .

وقد بدأ العمل فى هذه التوسعة منذ (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، وقد بلغ قىمة التعوىضات عن الأملاك المتزوعة ملكىتها لهذه التوسعة ما يقرب من (٥٠) ملوىن رىال سعودى ، وإنا لنرجو أن تتم هذه التوسعة فى عهد صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزىز .

أما وصف المسجد الحالى فإنه ىقع المسجد النبوى فى الجهة الشرقىة من المدىنة المنورة ، أما من حيث التخطيط العام فهو مستطىل الشكل ، ىبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال (١٢٨) متراً ، أما عرضه من الشرق إلى الغرب فىبلغ (٩١) متراً . وىتوسط المسجد صحنان غىر مسقوفىن ، كانا ىسمىان إلى عهد قرىب بالحضوة ، نسبة إلى أنهما كانا مفروشىن بالحصى ، أما الآن فقد كسىت الأرضىة بالرخام الأىبض الجمىل ، الذى ىفرش بأجمل البسطة فى أوقات الصلاة . وىفصل بىن الصحنىن ثلاث بوائك ترتكز على ثلاثة صفوف من الأعمدة ، وتحصر بىنها ثلاثة أروقة . وبرغم اتساع التوسعة السعودىة إلا أنه ىمكن تقسىم المسجد إلى قسمن متمىزىن أحدهما قدىم ىرجع إلى العصر العثمانى ، وهو الجزء القبلى والقسم الحدىث وهو ىقع إلى الشمال من الجزء القدىم .

وىوجد بالقسم الجنوبى اثنتا عشرة بائكة تحتوى كل منها (٢٧) عموداً تقوم عليها عقود نصف دائرىة ، تعلوها قباب ضحلة ، زخرفت باطنها برسوم زىتىة قوامها

زخارف نباتية بالأسلوب التركي (والباروك والركوكو) الذى كان منتشراً فى تركيا وأوروبا ابتداء من القرن السادس عشر للميلاد . كما رسمت فى بعض القباب مناظر طبيعية تمثل مدينة اسطنبول وأدرنة وأنقرة وغيرها من المدن العثمانية الهامة .

وتفصل البوائك السالف الإشارة إليها بينها وبين جدار القبلة اثنا عشر رواقاً موازياً لحائط القبلة . ويبلغ عدد أعمدة إيوان القبلة (٣٢٧) بما فى ذلك الملتصق منها بالجدار الغربى والمقصورة الشريفة . وتبلغ مساحة الجزء القديم « إيوان القبلة » (٤٠٥٦) متراً مربعاً .

وقد بنيت أعمدة إيوان القبلة من حجر الصوّان ، المكسى بطبقة من المرمر ، أما تيجانها فغالبا (كورنثية) المكون من أوراق (الكنكر) . وقد وشيت تيجان الأعمدة بماء الذهب . ويصل بين تيجان الأعمدة ، أعمدة ربط خشبية غلفت بصفائح من النحاس الأصفر . والغرض من أعمدة الربط هذه هو تقوية الأعمدة ، كما تستخدم فى نفس الوقت لربط سلاسل القناديل الذهبية والمشكاوات البلورية والزجاجية بها . كما يتدلى من سميت القباب الضحلة السابق الإشارة إليها والتي تغطى سقف إيوان القبلة سلاسل ذهبية وفضية يتدلى منها الثريات التركية والتنانير المملوكية . كما كسيت قواعد الأعمدة بالنحاس الأصفر .

وفى الجزء الجنوبى الشرقى من المسجد (بإيوان القبلة) توجد الحجرة النبوية الشريفة المحاطة بمقصورة من النحاس الأصفر يبلغ طول كل من ضلعها الجنوبى والشمالى (١٦) متراً ، أما الضلع الشرقى والغربى فيبلغ طول كل منهما (١٥) متراً . وبداخل المقصورة النحاسية بناء ذو خمسة أضلاع تمثل الشماليتان منها ساقى مثلث ، والثلاث الباقية تكون أضلاع المربع . وارتفاع المبنى نحو ستة أمتار .

وفى هذا المبنى المتعدد الأضلاع يوجد قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى الجهة القبلىة الغربىة ثم يليه من الجهة الشمالىة الشرقىة قبر أبى بكر الصديق ثم إلى الشرق قليلاً قبر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

وهذا البناء المقام حول قبر الرسول صلى الله عليه وعلى صاحبيه رضى الله عنهما هو البناء الذى أقامه نورالدين زنكى لما بلغه اعتزام الصليبيين على محاولة إخراج الجثة

الشريفة . فبنى ذلك البناء ونزل بأساسه إلى منابع الماء ثم أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له نقباً .

وفي شمال المقصورة النبوية ، توجد مقصورة نحاسية متصلة بالمقصورة الأولى ، يبلغ ضلعها الجنوبي (١٤) متراً أما الضلع الشمالى فيزيد نصف متر على الضلع الجنوبي . أما طول ضلعها الشرقى والغربى فيبلغ (٧٥) متر . وداخل هذه المقصورة ضريح يزعمون أنه قبر السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج على بن أبى طالب وأم الحسن والحسين سبطى الرسول . ولكن الراجح كما يثبت الثقة من أهل السير أن قبرها بالبقيع .

ويوصل المقصورة الصغيرة بالمقصورة الكبيرة بابان بحدارها الجنوبي . ويوجد بالمقصورة الكبيرة باب فى ضلعها الغربى يسمى باب الوفود أو باب الرحمة . وإلى الجنوب من باب الرحمة وفى نفس الضلع الغربى للمقصورة الكبيرة توجد ، نافذة تسمى (شباك التوبة) . وللمقصورة الكبرى باب آخر فى ضلعها الجنوبي ، وبالضلع الشرقى ، كما يوجد باب سادس فى الضلع الشمالى ، مخصص لدخول الأغوات لإيقاد ثريات وقناديل ومصابيح الحجرة الشريفة .

ويحيط بالحجرة الشريفة أربعة أعمدة مزوية موضوعة فى أركان الحجرة الرابعة أقيمت عليها القبة الخضراء التى تعلو الحجرة الشريفة . وتقوم القبة على رقبة مرتفعة ملئت أركانها الأربعة من الداخل بمثلثات أسطوانية مقعرة (Splyrical Triangle Pendentive) .

وفى شمال مقصورة السيدة فاطمة دكة كدكة الأغوات ، قبل إزائها متجد النبى صلى الله عليه وسلم .

ويواجه الضلع الشمالى للمقصورة الصغيرة (الصفة) أو دكة الأغوات . وهى مستطيلة الشكل يبلغ طولها (١٢) متراً وعرضها (٨) أمتار وارتفاعها عن أرض الإيوان القبلى (٠.٤٠) متر .

ويوجد بإيوان القبلة ثلاثة محاريب مجوفة ، الأول فى حائط القبلة الجنوبي ، وهو المعروف بالمحراب العثمانى لأنه مبنى فى الزيادة التى أضافها عثمان بن عفان فى الجهة

الجنوبية من مسجد الرسول . وفي الرواق الثالث من إيوان القبلة يوجد محراب ثان يعرف بمحراب النبي ، وذلك لأنه مبنى في الضلع الجنوبي للمسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم . والمحراب الثالث إلى الغرب من محراب النبي ويعرف النبي ويعرف باسم المحراب السليمانى نسبة إلى السلطان سليمان الثانى .

ومن الأبحاث القيمة والمفيدة التى كتبت عن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ومقبرته بعد ثماته ، ذلك البحث الذى سجله محمد ليب البتانوى في كتابه (الرحلة الحجازية) التى قام بها (١٣٢٧ هـ / ١٩١٠ م) من مصر في معية الخديو عباس حلمى الثانى ، ومن ثم فقد رأينا تلخيصه .

يقول : من ينظر إلى الحجرة النبوية المشرفة الآن ، ويعلم أنها أقيمت مكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو المشهور ببيت عائشة . كما يفكر في عدد أبوابها وتسمية كل باب باسم مخصوص ، هذا فضلاً على بيت السيدة فاطمة الذى كان بجانب بيته صلى الله عليه وسلم ، وإنه كان يحتوى على نافذة تطل على منزل أبيها ، والتى سدت فيما بعد رغبة في استقلال كل بيت عن الآخر . أقول من يعرف كل ذلك يرجع معى (أى البتنوى) بأن تخطيط بيت الرسول صلى الله عليه وسلم كان على النحو التالى .

ولعل من الأسباب القوية التى جعلت (البتنوى) يفكر في أن بيت السيدة عائشة كان يشمل أكثر من حجرة ، هو ما ورد عن الإمام مالك وغيره من أصحاب السير ، فقد قسم بيت عائشة قسمين ، قسم كان فيه القبور الثلاثة ، وقسم كانت تسكن فيه عائشة ، وبينهما حائط . وذلك بعد أن دفن عمر رضى الله عنه ، ذلك أن عائشة ربما دخلت حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبوها (أبوبكر) ، فضلاً (أى سافرة) فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها . ومن ثم بنت الحائط .

من ذلك يستنتج (البتنوى) أن بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان به حجرتان . وإذا كنا لا نتفق مع ما ذهب إليه (البتنوى) من أن بيت عائشة كان به حجرتان ، إلا أننا تؤيده تمام التأييد في أن بيت عائشة كان متسعاً بحيث سمحت مساحته أن يقسم إلى حجرتين إحداهما تضم قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبجواره صاحبه ، والحجرة الثانية كافية لإقامة وسكن السيدة عائشة .

ومما يؤكد سعة الحجرة الشريفة بعد فصل الجزء الذى تسكنه السيدة عائشة ، أنه كان لها بابان ، فقد قال بعضهم إنه للشام (الشمال) وقال آخرون إنه للغرب . لكن يستتج من رواية ابن سعد فى طبقاته ، أن له بابين ، إذ يقول : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا (أى الصحابة) : كيف نصلى عليه ؟ قالوا : ادخلوا من ذا الباب إرسالاً إرسالاً فصلوا عليه وأخرجوا من الباب الآخر » .

ومما ورد كذلك فى بيت السيدة عائشة ، أنه كان به صفة إلى منزل فاطمة . ومما يؤدى وجود فتحة فى منزل عائشة إلى القبلة ، قول ابن زبالة وغيره « كان بين بيت حفصة ومنزل عائشة الذى به القبر الشريف طريق وكانتا تتهاديان الكلام وهما فى منزلها من قرب ما بينهما » .

وعليه فىكون بيت الرسول صلى الله عليه وسلم مدة حياته فى المدينة المنورة ، كما هو ظاهر فى التخطيط الذى استنتجته فى الرسم رقم (١) وكما هو واضح فى الرسم قد روعى فيه الوضع الصحى ، بمراعاة منافذه المنقية للهواء ، وكذا أبوابه الداعية إلى السهولة فى الدخول والخروج وخفة الحركة مع وفرة الزمن والسرعة إلى المقاصد .

أما منبر المسجد فيوجد فى الرواق الثالث من إيوان القبلة ، وهو موضوع بين محراب النبى والمحراب السليمانى المعروف بالحنفى ، الأول عن يساره والثانى عن يمينه . ويمتد بين المنبر وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الروضة التى يبلغ طولها (٢٢) وعرضها (١٥) متراً . وتنتهى حدود الروضة من الجهة الجنوبية بحدود المسجد النبوى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد وضع سور نحاسى يفصل بين الروضة وبين حائط المسجد القبلى ، أو بعبارة أخرى ، وبين زيادة عثمان بن عفان التى يشغلها الآن رواقان . ويبلغ ارتفاع السور النحاسى الذى يفصل بين الروضة وحائط القبلة ما يقرب من مترين .

هذا ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى بلاطات القاشانى التى تزخرف وتكسى جدران إيوان القبلة (أى الجزء الذى يرجع إلى العصر العثمانى) فى جدار القبلة وجزء من الجدار الغربى وآخر من الجدار الشرقى . فقد حظى المسجد النبوى بمجموعة من بلاطات القاشانى النادرة المثال مما صنعتها مصانع مدينة (أزيك) واسطانبول (وكوتاهية) ،

وخاصة تلك التي احتوت على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى جانب الشعر الذي وضع في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة (بردة البوصيري) . كما زخرفت المحاريب الثلاثة ببلاطات من القاشاني كانت غاية في الدقة والإبداع .

أما عن المعلقة من القناديل والثريات والتنانير والمشكاوات التي أهديت للمسجد الشريف وللحجرة النبوية فلا نجد لها مثيلاً في أي مكان آخر وحسبك أنها قومت في أوائل القرن العشرين ، بسبعة ملايين من الجنيهات . وتتكون هذه المعلقة في مجملها من (٦٢٠) قنديلاً من الذهب والفضة معلقة في إيوان القبلة (أي الجزء القديم فقط) . كما علق فيه كثير من الثريات البلورية وتنانير يوقد فيها الشمع وشماعد على شكل أربع شجرات على أعمدة من البلور .

كما يوجد بالمقصورة (١٠٦) قناديل وضعت حول الحجرة الشريفة ، منها (٣١) غير البراقات فقد وضعت في الرواق الذي يقع تجاه الوجه الشريف ، وكلها من الذهب المرصع بالماس والياقوت . والباقي يشبه قناديل المسجد معلقة بسلاسل الذهب .

ومن بين معلقة الحجرة الشريفة كذلك الثريات المتدلية من الدائرة التي تعلو الحجرة وهي من الجواهر الثمينة ومكانس من اللؤلؤ الفاخر . وشماعد عظيمة من الذهب الخالص المرصع بالماس الفاخر طول كل منها نحو قامة . ويقال أن ثمن الواحدة منها بلغ (٣٠٠,٠٠٠) جنيه . كما يوجد بالحجرة الشريفة مباخر وقواقم وأباريق وأكواب ماء الورد والعطور ، كلها من الذهب الخالص .

هذا ويوجد بالحجرة الشريفة كذلك ثلاثة محاريب فضلاً على محاريب إيوان القبلة السابق الإشارة إليها ، وهكذا يصبح عدد محاريب المسجد والحجرة الشريفة (ستة) . أما عن محاريب الحجرة الشريفة فهي محراب التهجد وهو خلف حجرة السيدة فاطمة خارج المقصورة النحاسية المحيطة بها وعلى الحجرة الشريفة من جهة الشمال ويقال إنه متهدد الرسول صلى الله عليه وسلم . والمعروف أن تهجده في غير قيام رمضان كان بيته . وقد جدد هذا المحراب في عمارة السلطان عبد المجيد ، وكتب عليه ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .

أما المحراب الخامس ، فهو إلى الجنوب من محراب التهجد ويعرف بمحراب

فاطمة ، وهو داخل المقصورة التي تحيط بحجرة فاطمة . أما المحراب السادس فيقع إلى الشمال من دكة الأغوات أو مسطبتهم وهو محراب حديث عمل في العمارة العثمانية الأخيرة . وكان موضعه مصلى شيخ الحرم في العهود السابقة ، ويصلى به الآن شيخ الحرم صلاة التراويح .

أما الأجزاء الجديدة في الحرم النبوي ، فهي التي ترجع إلى العهد السعودي ، وهي تشمل الرواق الشرقي الذي يحتوى على ثلاث بوائك قسمت إلى ثلاثة أروقة ، وكذا الرواق الغربي المائل للرواق الشرقي . أما الرواق الشمالى فيحتوى على خمسة صفوف من البوائك تحصر بينها خمسة أروقة كذلك . ويبلغ عدد الأعمدة والدعائم التي تقوم عليها عقود البوائك (١١) الموجودة في الإيوان الشرقى والغربى والشمالى (٣٦٢) عموداً ودعامة .

وتختلف عقود وأعمدة العمارة السعودية عن تلك التي عملت في العهد العثمانى ، فهي أولاً مبنية من الخرسانة المسلحة ، كما أن العقود التي تعلو الأعمدة فهي مدببة وممتدة (Pointed Stilted Arches) وتاج العمود يتكون من زخارف نباتية مجردة ، وهي التي أطلق عليها الأرييون اسم (Arabesque) وذلك لأن العرب هم الذين ابتدعوها فعرفت باسمهم .

أما السقف الذى يعلو البوائك والأروقة فسطح ومقسم إلى مربعات يحتوى كل منها على وحدات زخرفية مرسومة بأسلوب الأرابيسك . وقد أحيطت تيجان الأعمدة بصفائح من النحاس الأصفر وقد ركب تحت الصفائح النحاسية (لمبات كهربائية) للإضاءة . ومن ثم فلا يوجد في التوسعة السعودية أية معلقات .

ويبلغ عدد النوافذ في التوسعة الجديدة (٤٤) نافذة بواقع (٢٢) في كل من الضلع الغربى والضلع الشرقى . أم أبواب المسجد فعددها تسعة بواقع ثلاثة في كل ضلع من الأضلاع ما عدا جدار القبلة . ففي الضلع الغربى نجد باب السلام وهو ملاصق للضلع الجنوبى للمسجد . وفي امتداد باب السلام إلى الجهة الشمالية نجد باب الرحمة ، وبينهما خوخة أبى بكر الصديق . وفي منتصف الضلع الغربى وفي مقابلة البوائك التي تفصل الصحن الأول عن الثانى يوجد باب سعود .

أما الضلع الشرقى فنجد بابين فى الجزء القديم من المسجد وهما باب جبريل ثم إلى جانبه من الجهة الشمالية باب النساء . وفى مقابلة باب سعود وفى الضلع الغربى يوجد باب عبد العزيز . كذلك يوجد فى الضلع الشمالى ثلاثة أبواب أولها من جهة الشرق باب عثمان بن عفان وفى الوسط باب عبد المجيد ثم إلى الغرب باب عمر بن الخطاب .

من المعروف أن المسجد النبوى لم يكن له مآذن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذا فى عهد الخلفاء الراشدين ، وإنما كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر ، وهى المعروفة الآن بدار العشرة وهى فى قبلة المسجد . فقد كان بلال يرقى إليها على سبعة أقتاب^(١) ، فلما كانت زيادة الوليد أحدث عمر بن عبد العزيز ، عامله على المدينة ، فأقام أربع مآذن فى كل زاوية مئذنة .

وكانت المئذنة التى عند باب السلام مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن ، فأطل عليه ، فأمر بهدم تلك المئذنة .

وفى العصر المملوكى أعاد بناءها (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) السلطان محمد بن قلاوون وقيل أعادها شيخ الحرم شبل الدولة كافور المظفرى . أما المئذنة التى على باب الرحمة فقد أنشأها السلطان قاتيباى .

وهكذا كان بالمسجد خمس مآذن ، فى كل ركن من أركانه الأربعة مئذنة وخامسة أمام باب الرحمة . وكانت المئذنة التى فى الزاوية الجنوبية الغربية تسمى بمئذنة باب السلام وهى عثمانية الطراز فهى تنتهى بما يشبه المسلة أو قلم الرصاص ، والتى فى الزاوية الجنوبية الشرقية تسمى المئذنة الرئيسية وهى التى يؤذن عليها رئيس المؤذنين وهى ترجع إلى عهد السلطان قاتيباى . أما التى تقع فى الركن الشمالى الشرقى فتسمى المئذنة السلمانية والتى فى الركن الشمال الغربى فتسمى المئذنة المجيدية .

وقد أزيلت ثلاث مآذن فى التوسعة السعودية ، وهى مئذنة باب الرحمة فى الضلع الغربى للمسجد ، كما أزيلت المئذنتان الشمالية الغربية أى المئذنة المجيدية ، والتى فى الركن الشمالى الشرقى وهى المعروفة بالمئذنة السلمانية .

(١) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير .

وقد أقيم في العمارة السعودية مئذنتان في إحداهما في الركن الشمالى الغربى والثانية في الشمالى الشرقى ، ويبلغ ارتفاع كل منهما (٧٠) متراً ، كما حفر أساس كل منهما (١٧) متراً . وتتكون كل مئذنة من أربعة طوابق الأول ويبدأ من بداية جدران المسجد ، وهو مربع الشكل ينتهى بشرفة مربعة كذلك تقوم على كوابيل مكونة من ثلاثة صفوف من الدلايات . وبكل ضلع من أضلاع الطابق الأول من المئذنة وتوجد فتحة ضيقة مزججة تمتد من قرب القاعدة وتنتهى إلى ما يقرب من كوابيل الشرفة . وهذه الفتحات القصد منها الإضاءة فضلاً على تجميل وزخرفة الطابق الأول من المئذنة . وينتهى الطابق الأول إلى ما يعلو جدار المسجد بمقدار الثلث .

أما الطابق الثانى للمئذنة فثمان الشكل وينتهى بشرفة مثمانية ترتكز على ثلاثة صفوف من الدلايات . وقد فتح في كل وجه من أوجه المثمان فتحة ممتدة يعلوها عقد ذو زاوية (Keelarch) ويعلو الفتحة نافذة مستديرة (Bullseye) . وبأسفل الطابق فتحت أربعة نوافذ مربعة الشكل .

ويتكون الطابق الثالث من شكل اسطوانى خالى الفتحات ومن ثم فقد زخرف بأحجار ملونة بأسلوب الأبلق ، على شكل متعرج (Zigzag) . أما الطابق الرابع فيتكون من ثمان أعمدة تنتهى بشرفة تقوم على صفين من الدلايات . ويعلو الطابع الرابع بشكل (مقبب) يعرف باسم خوذة المئذنة يعلوها هلال من النحاس وبه مانعة للصواعق .

مسجد مصلي العيد المعروف بمسجد الغمامة

ويعرف الآن بمسجد الغمامة .

وأول عيد صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم سنة ٢ هـ ، وكان يصلي في الفضاء ، وكانت تحمل إليه العنزة^(١) فيصلي إليها .

وكانت العنزة للزبير بن العوام - أعطاه إياها النجاشي . فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يخرج بها بين يديه يوم العيد .

وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العيد في أماكن مختلفة ، ولكنه في سته الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروفة الآن بالمناحة غرب المدينة .

روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلي يستتمي ، ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا بجمعنا ومستمطرن ، ومدعانا لعيدنا ولفطرننا وأضحانا ، فلا يني فيه لبنة على لبنة .

وفي رواية أخرى : « هذا مستمطرننا ومصلاتنا لأضحانا وفطرننا لا يضيق ولا ينقص منه شيء » .

(١) العنزة . رمح قصير بين العصا والرمح في أسفله زج . وانزع هو خديد ثني في أسفل رمح .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبل الناس فيخطبهم ، ولم يكن له منبر يقوم عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريق ويقضى حاجة من له حاجة .

وقد صلى الرسول في أماكن مختلفة ولكنه في سنته الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاه المعروف الآن بالمناخة غربى المدينة^(١) .

وقد جاء في زاد المعاد^(٢) « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين في المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، ويظن إبراهيم رفعت أن كلمة الشرق سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة في الجهة الغربية .

وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول ١٠٠٠ ذراع ولم يكن به بناء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة » وفي بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينقص منه شيء .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبلاً الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه كما دل على ذلك حديث أبي سعيد الخدرى في البخارى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف .

(١) مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢١ .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ١٢٠ .

فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى فجذبه بثوبى فجذبني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبو سعيد قد ذهب .

وكان صلى الله عليه وسلم يطهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريق ويقضى حاجة من له حاجة .

وقد صلى الرسول في أماكن مختلفة ولكنه في سنه الأخيرة داوم على صلاة العيد بمصلاة المعروف الآن بالمناخه غربى المدينة^(١) .

وقد جاء في زاد المعاد^(٢) « أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يصلى العيدين في المصلى الذى على باب المدينة الشرق وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، ويظن ابراهيم رفعت أن كلمة الشرق سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناخة في الجهة الغربية .

وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول (١٠٠٠) ذراع ولم يكن به بناء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء ، وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة افتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنه على لبنه ولا جهة » وفي بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينقص منه شئ .

وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبلا الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه ، كما دل على ذلك حديث أبي سعيد الخدرى في البخارى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى

(١) مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢١ .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص ١٢٠ .

فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ، ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعة أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقبه قبل أن يصلى فجذبه بثوبي فجذبتني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبو سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خيراً مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة^(١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذهب إلى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الإسلام . والطريق العظمى هي المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهي ضعف المسافة وسور المدينة يمنع الآن سلوكها .

ولم تتحدث المصادر عن شكل مبنى المسجد المسقط ، بل إن العديد منها لم يشير إلى المسجد إطلاقاً . وكان السهمودي^(٢) أول من تكلم عن المسجد بإسهاب ، وإن كان يتساءل عن أصل بناء المسجد . فيقول : وعمارته الموجودة اليوم لا أدري لمن تنسب .

ويشير السهمودي بعد ذلك إلى تجديد المسجد في عهد السلطان المملوكي البحري حسن بن قلاوون مدعياً ذلك بنص تاريخي كان موجوداً على زمنه بأعلى باب المدخل ، « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهابه ، عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوي وذلك في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان محمد بن قلاوون الصالحى »^(٣) .

(١) البخارى : باب الخروج إلى المصلى . بغير منبر .

(٢) وفاء الوفا ج ٢ ص ٨٣٥ .

(٣) هو بردك التاجي الأشرف برسباي ، أمير عشرة ، ولي بمكة في عهد الظاهر حقيق (٨٤٢ هـ) . نظر الحرم .. وشاد العائز ، ثم أرسل سنة ٨٦١ هـ في عهد السلطان اينال لعمل إصلاحات بالحرم النبوي (السنحاوى : الضوء اللامع ج ٣ ص ٦ ، أبو المحاسن ج ١٤ ص ٢٢٩) . لعل ذلك تم في آخر أيام الناصر محمد بن قلاوون عندما استتب له الأمر في السلطنة وذلك سنة ٧٦٣ هـ .

وقد كان ذلك التجديد قبل عام (٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م) وهو تاريخ وفاة شيخ الحرم عز الدين . ويتضح من ذلك النص أن المسجد لم تنله يد الإصلاح قبل ذلك ، ولعل وجوده في حالة خربه كان داعياً لعدم الإشارة إليه في كتابات مؤرخي المدينة المنورة .

وقد أجريت إصلاحات بالمسجد في عهد السلطان المملوكي الجركسي إينال على بردبك المعمار^(١) ، وأضاف السهمودي فقال : إن بردبك عمل منصة (دكة) خارج المسجد أمام الباب خصصت لجلوس المبلغين وذلك (٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م) .

ويقول ابراهيم رفعت^(٢) :

« وقد رحم الأمير بردبك المسجد (٨٦١ هـ) في دولة الأشرف إينال وأحدث سقفا خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجا خارجه على يمينه الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب . أما المسجد الآن ، فإنه ذو قباب ثمانية ، ومبنى بناء متقنا بالآجر الأسود . والذي بجواره الآن مسجد عثمان . والمترل ذو الرواشن الذي باليمين لأمين أفندي برى ، شيخ الفراشين بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين » .

ويرجع الانشاء العثماني الحالي إلى عمارة السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥ هـ - ١٢٧٧ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١ م) وكان ذلك قبل عام (١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م) . وقد أشار إلى ذلك الانشاء عبد القدوس الأنصاري^(٣) ، وقرأ النص التاريخي المحفور على لوح خشبي كان مثبتا على حائط القبلة (غير موجود حالياً) النص التالي : ﴿ إنما يعمر^(٤) مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . اللهم شفّع النبي في مجددده السلطان عبد المجيد خان عز نصره .

(١) ابراهيم رفعت ج ١ ص ٤٢٠ .

(٢) مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٢١ .

(٣) المدينة المنورة ص ١١٩ .

(٤) سورة التوبة آية رقم (١٨) .

ثم جدد المسجد بعد ذلك في العصر السعودي ، وذلك عام (١٣٧٣ هـ /
١٩٥٣ م) وهو تاريخ مسجل على ضلعتي الباب عن يمين الباب الأوسط ، وهذا هو
النص : (بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقى إلا بالله . النجار عطا (١٣٧٣ هـ /
١٩٥٣ م) . كذلك يوجد على الجزء العلوى من الأبواب الجانبية بالواجهة الشمالية الآية
الكريمة ، الضلعة اليمنى : بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى الضلعة اليسرى : ادخلوها
بسلام آمنين) .

الوصف المعماري لمسجد المصلى أو الغمامة

يتكون المسجد من مستطيل يبلغ طوله (٢٦) مترا وعرضه (١٣) مترا وارتفاعه عن مستوى الأرض (١٢) مترا . وينقسم المسجد إلى قسمين ، إيوان القبلة والثاني المدخل ذو السقيفه (Portico) . ويشغل إيوان القبلة مستطيلا طوله (٩ × ٢٦) مترا ويحتوى على رواقين موازيين لحائط القبلة . ويغطى كل رواق ثلاثة أقباء تقوم على عقود مدببة وعلى أربعة مقرنصات (Squinches) فى الأركان . وبين كل قبتين يوجد أقباء متقاطعة (cross - vaults) .

أما المدخل ذو السقيفه (Portico) الذى يتقدم إيوان القبلة فينقسم إلى خمسة مربعات تتقدمه أربع دعائم . ويغطى سقف السقيفه خمس قباب مختلفة الأحجام ، أكبرها تلك التى تقع بجانب الضلع الشرقى والغربى ، وتترج القباب فى الصغر حتى القبة الوسطى العمودية على محراب إيوان القبلة .

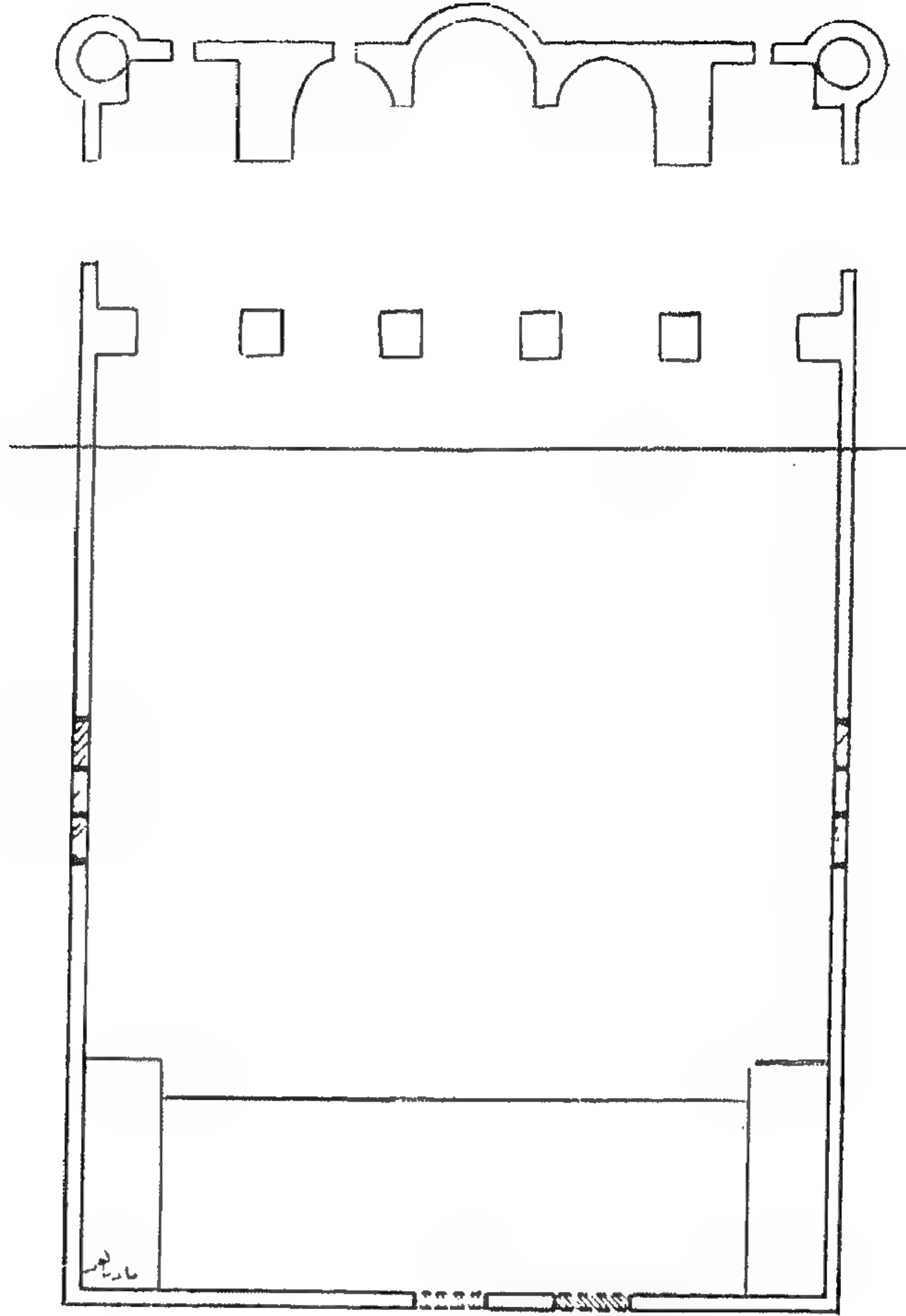
ويتقدم المدخل ذو السقيفه ساحة مكشوفة تنتهى بخمس درجات تحيط بالساحة من جهاتها الثلاث خمس درجات .

ويتكون المحراب من حنية ذات سبعة أضلاع ويعلوه عقد مفصص ويكتنفه عمودان ملتصقان ، تيجانها على شكل ناقوس . وإلى اليمين من المحراب يوجد المنبر الرخامى . ويتكون المنبر من تسع درجات تنتهى من أعلى بقبة مخروطية . ويتقدم المنبر ضلفتا باب من الخشب عليه كتابة ، عبارة عن جملة دعائية باللغة التركية ، كما يوجد

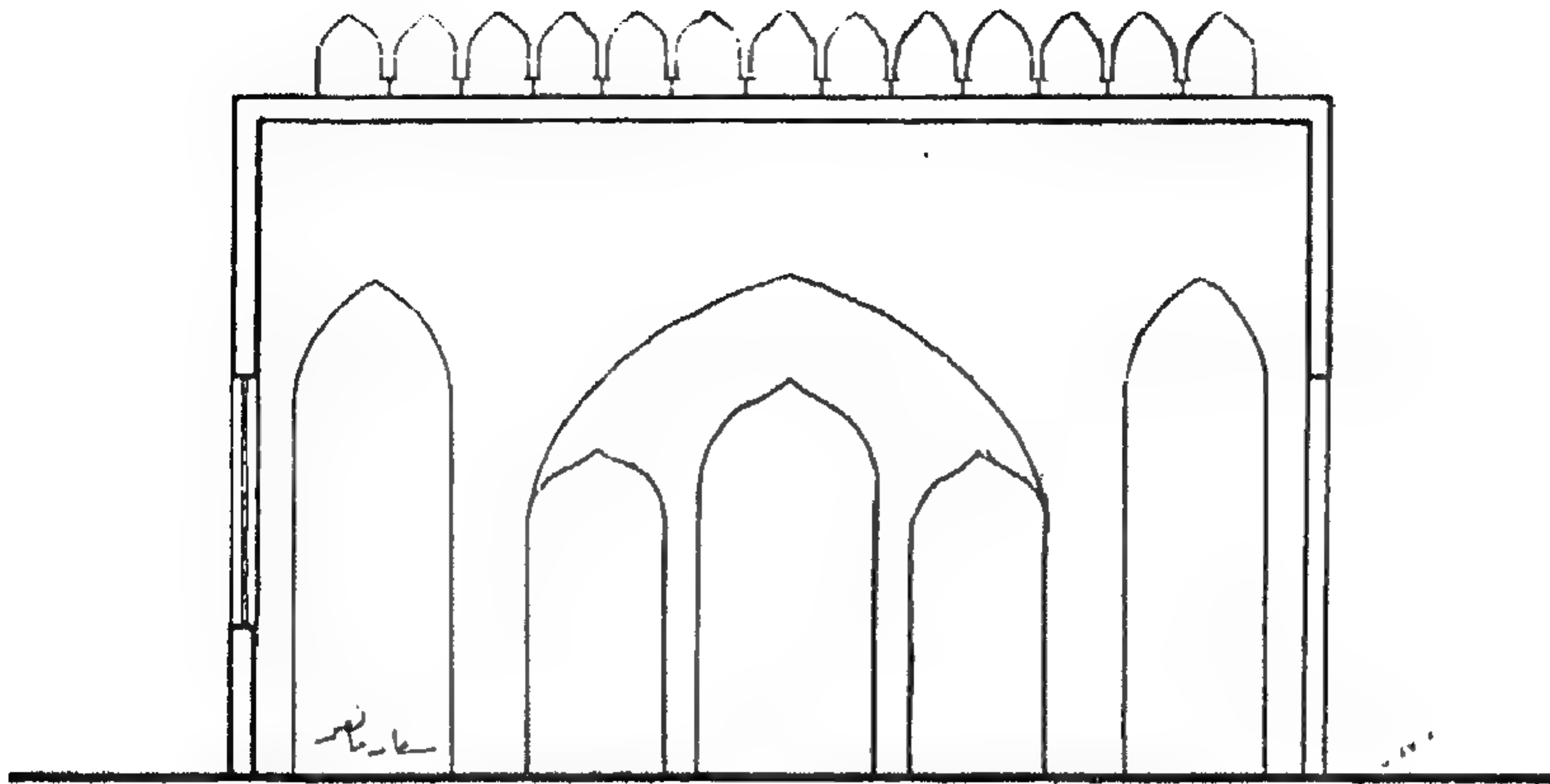
على عتب باب المنبر السورة القرآنية الآية (١) : ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ويعلو ضلفتى المنبر العبارة الآية : ﴿ هذا من فضل ربي ﴾ .

أما المئذنة فتقع في ركن المبنى وتتكون من ثلاثة طوابق السفلى منها مربع بارتفاع حائط المسجد ، والطابق الثاني مئمن ، وينتهي بشرفة لها (درابزين) من الخشب ويعلو المئمن طابق أسطوانى تحيط به شرفه وبالاسطوانه باب للخروج إلى الشرفه . وتنتهى المئذنة بقبة مشككة بهيئة فصوص يعلوها ناقوس ويتوجها هلال .

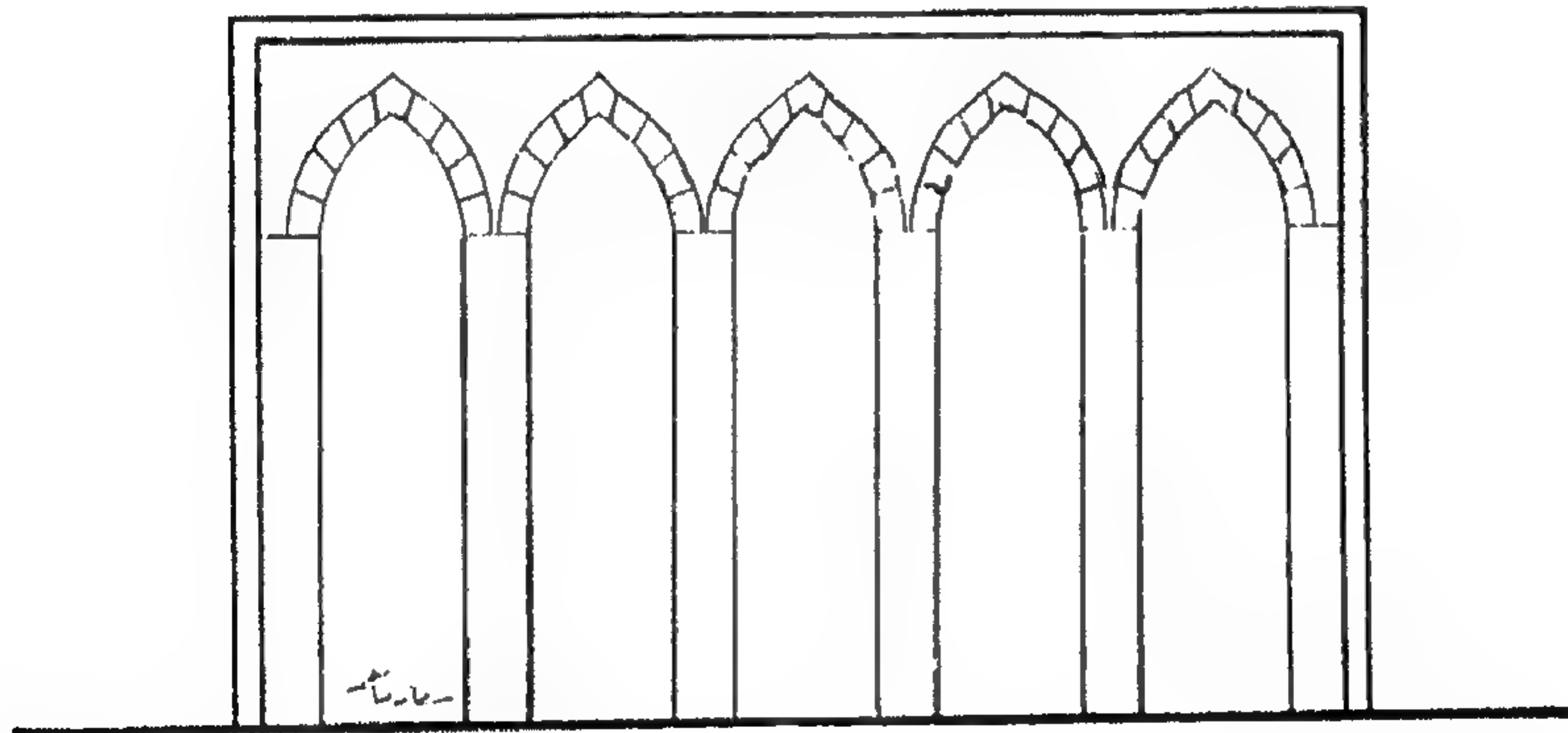
الصور واللوحات



شكل رقم (١) تخطيط مسجد البعة الكبرى .

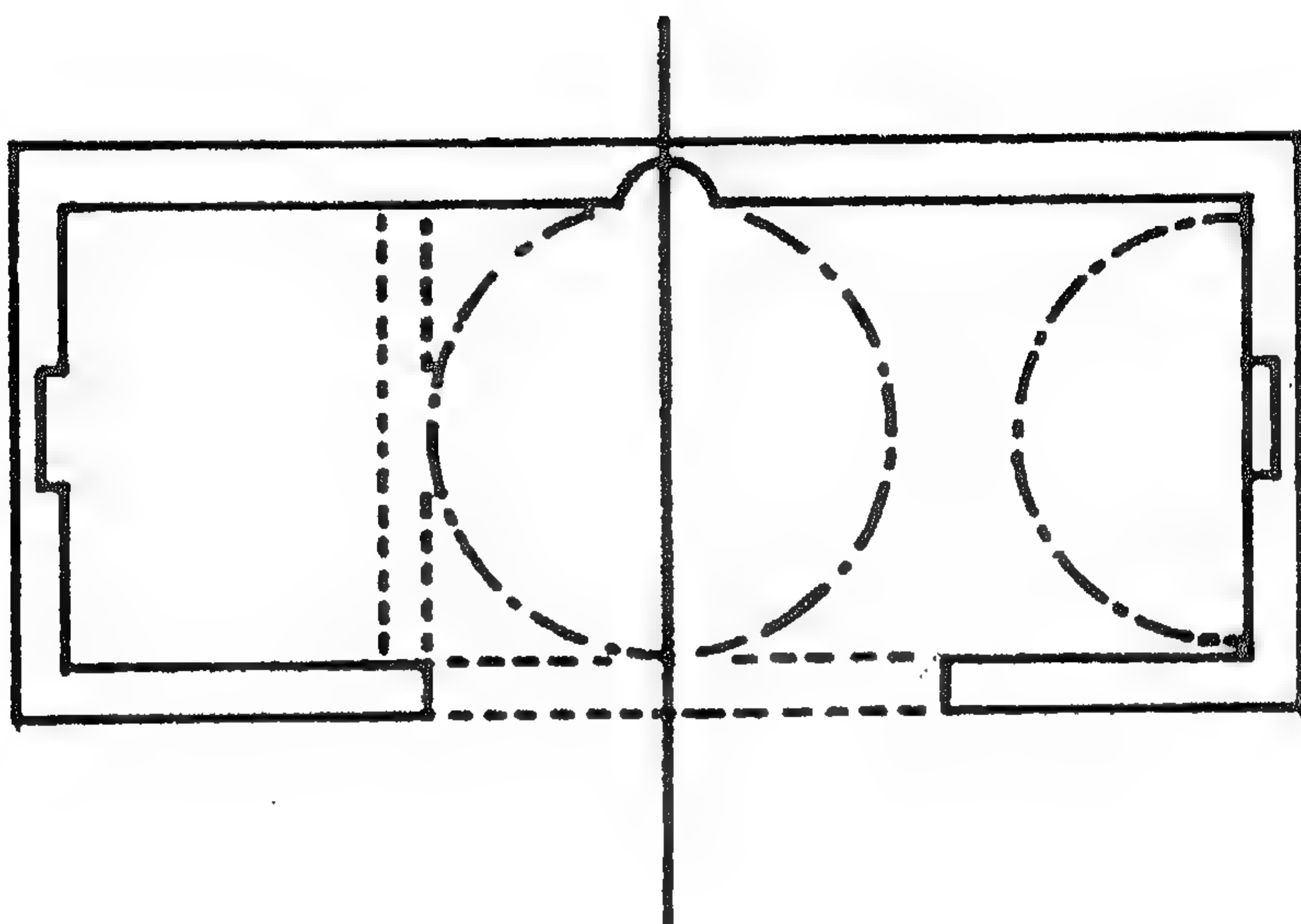


شکل رقم (۲) قطاع رأسی ا. ب (مسجد البیعة الکبری) :

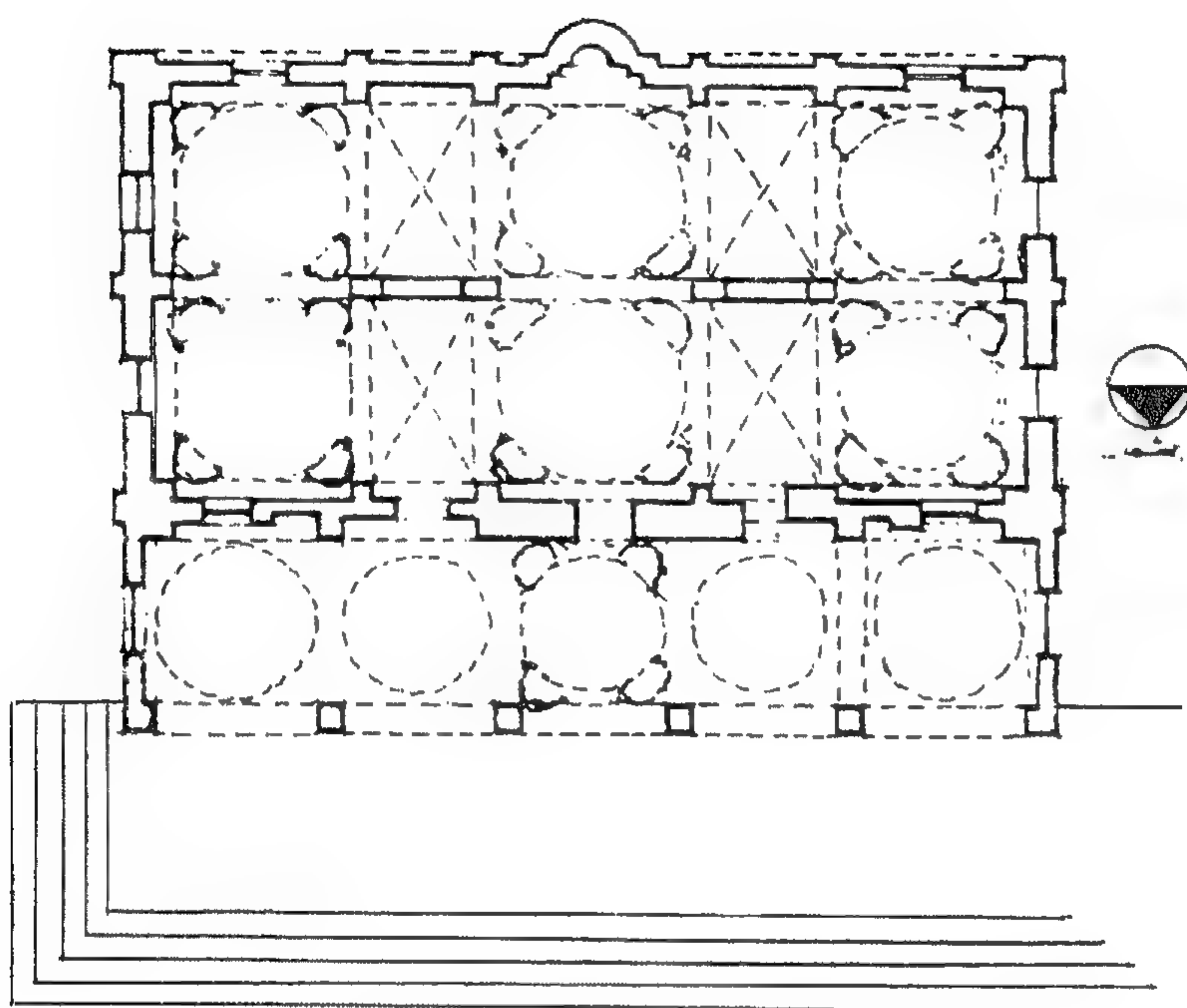


شکل رقم (۳) قطاع رأسی ح . د

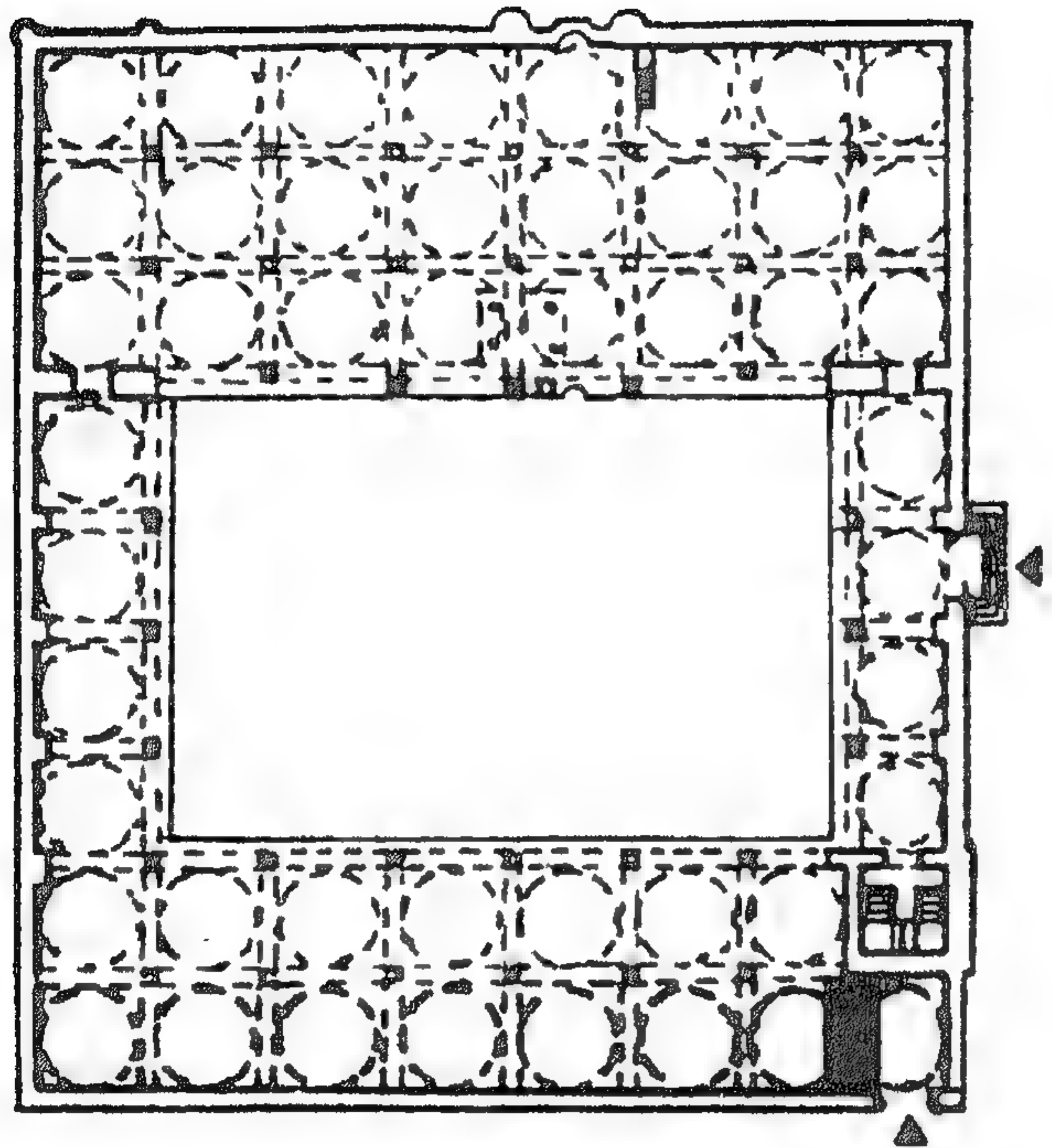
ا (مسجد البیعة الکبری) .



شكل (٣) : مسقط افقى لمسجد الجمعة للمبنى الحالى

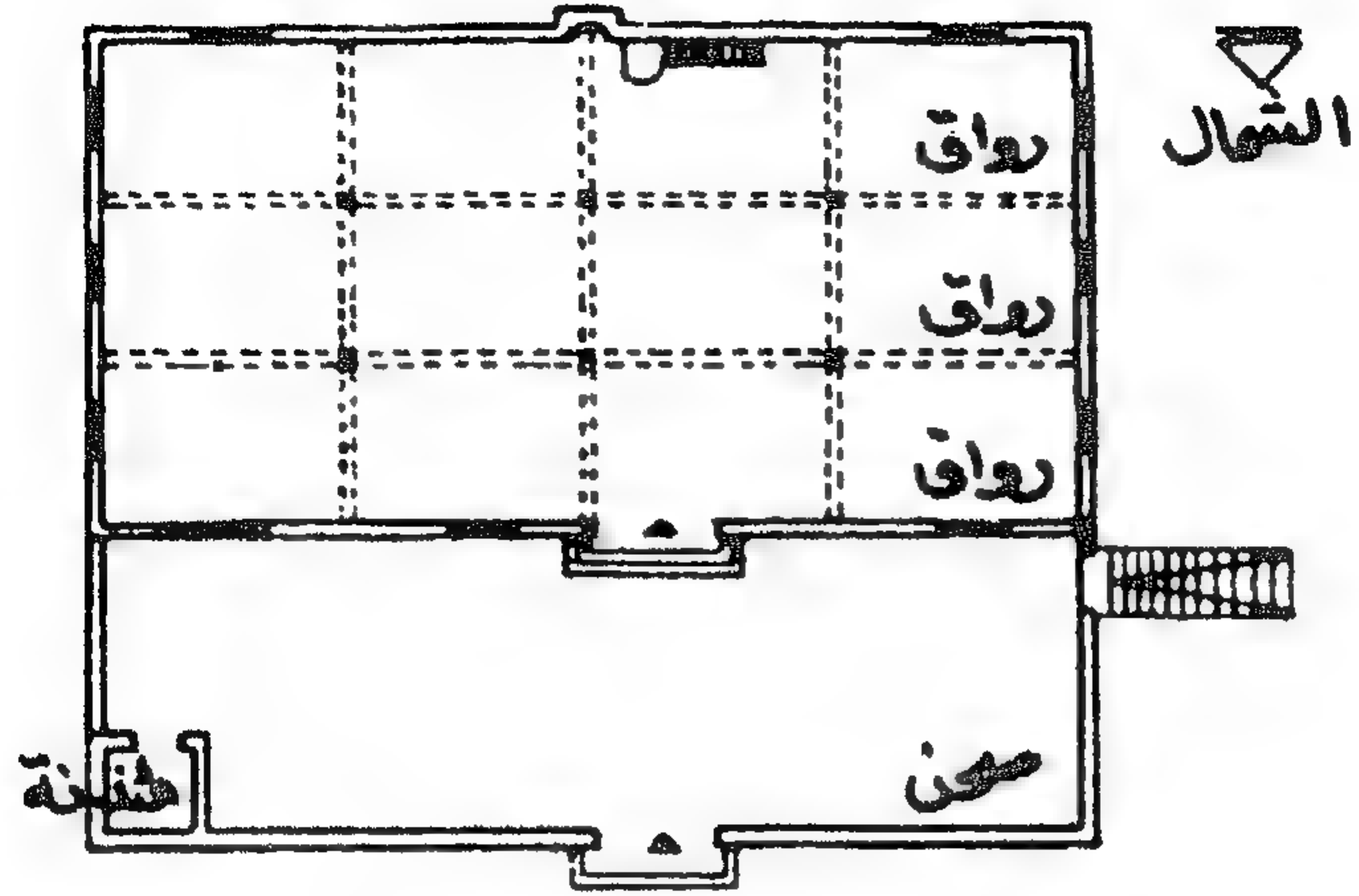


شكل (٤) : مسقط أفقى لمسجد الغمامة بالمدينة المنورة .

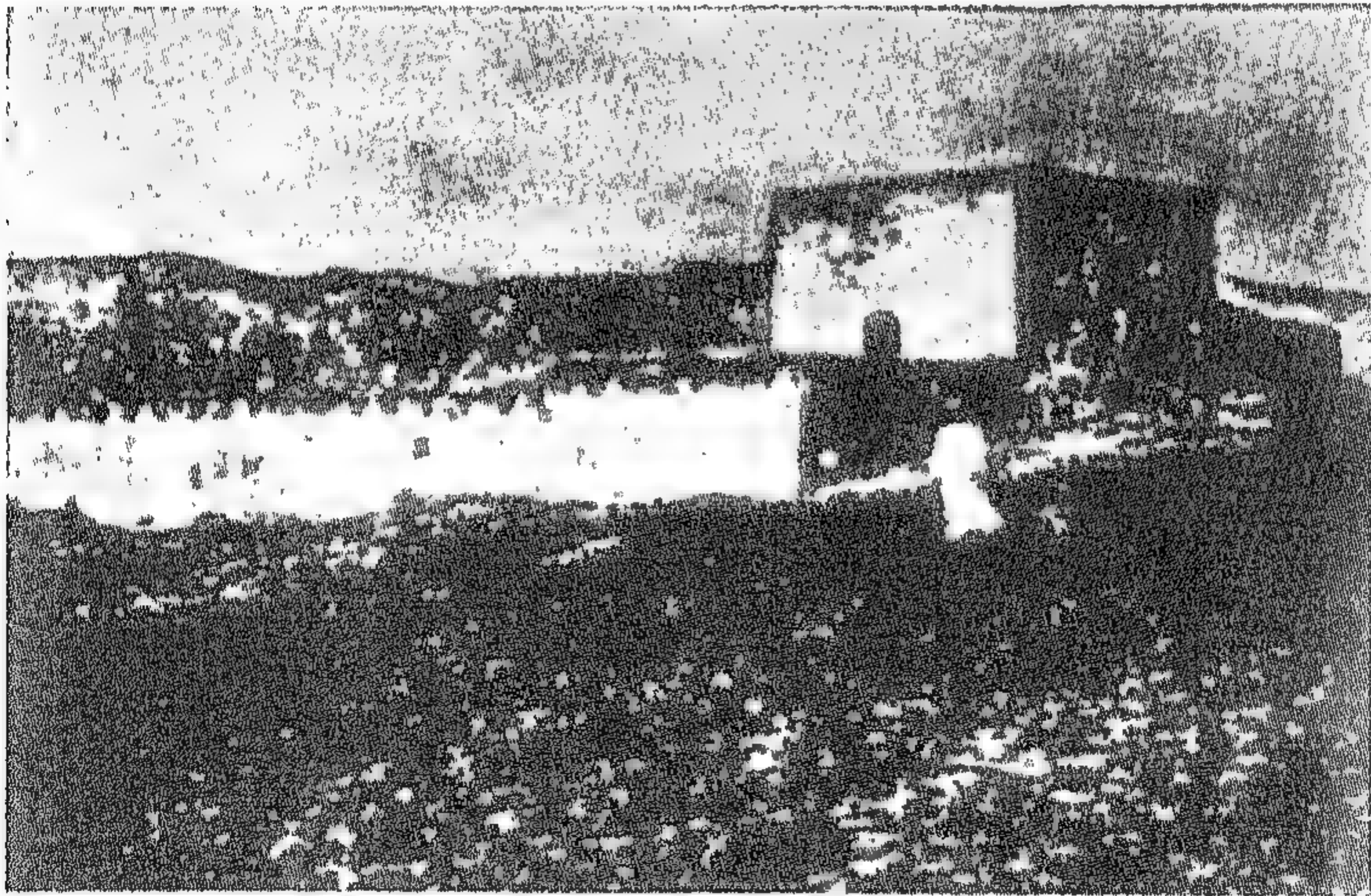


الشمال

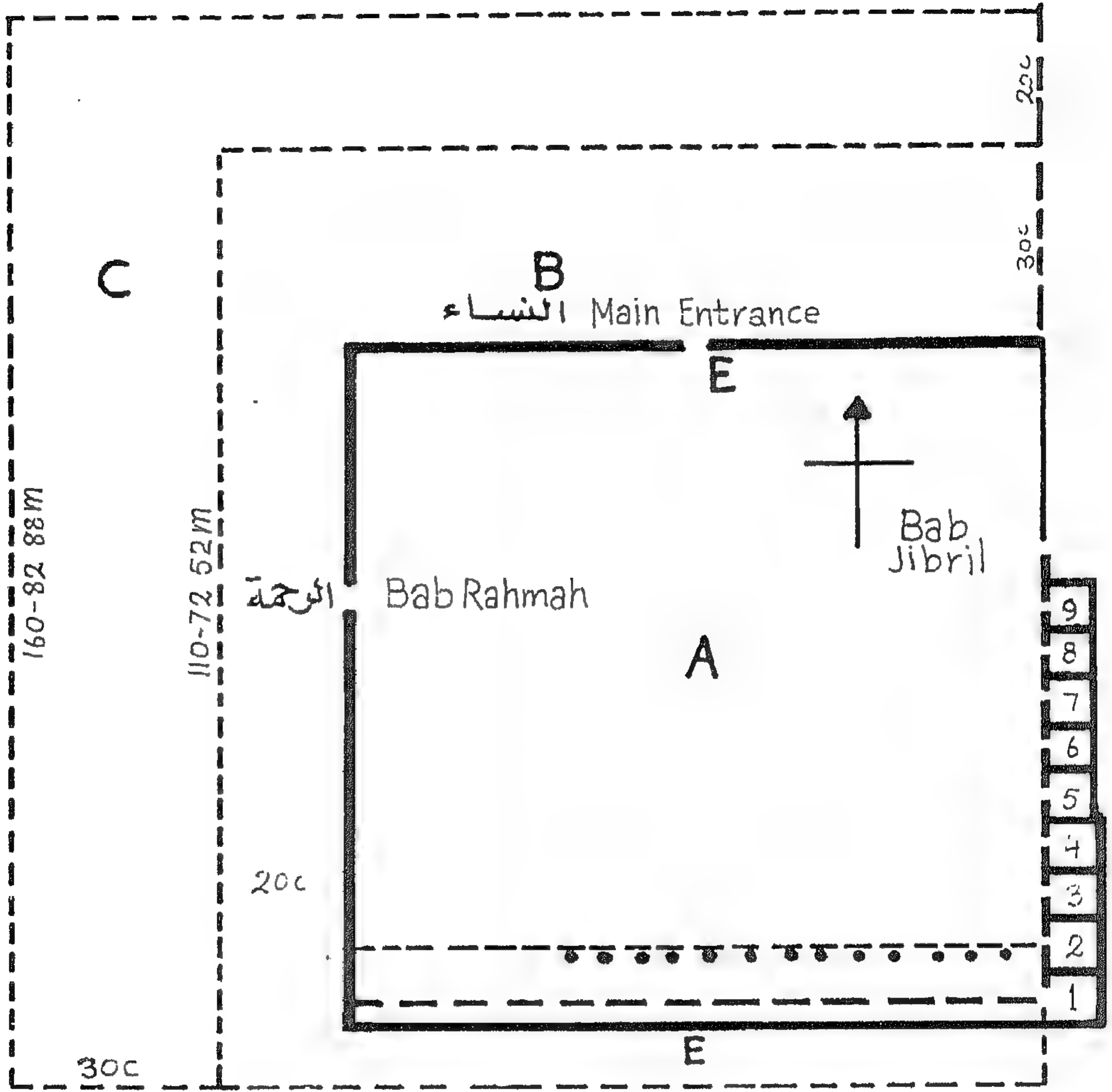
شكل (٥) : مسقط أفقي لمسجد قباء .



شكل (٦) : مسقط أفقى لمسجد القبلتين (عن صالح لمعى) .



شكل (٦) : مسقط القبلتين : منظر عام ١٩٠٨ م (إبراهيم رفعت) .



شكل (٧) : تخطيط المسجد النبوي .



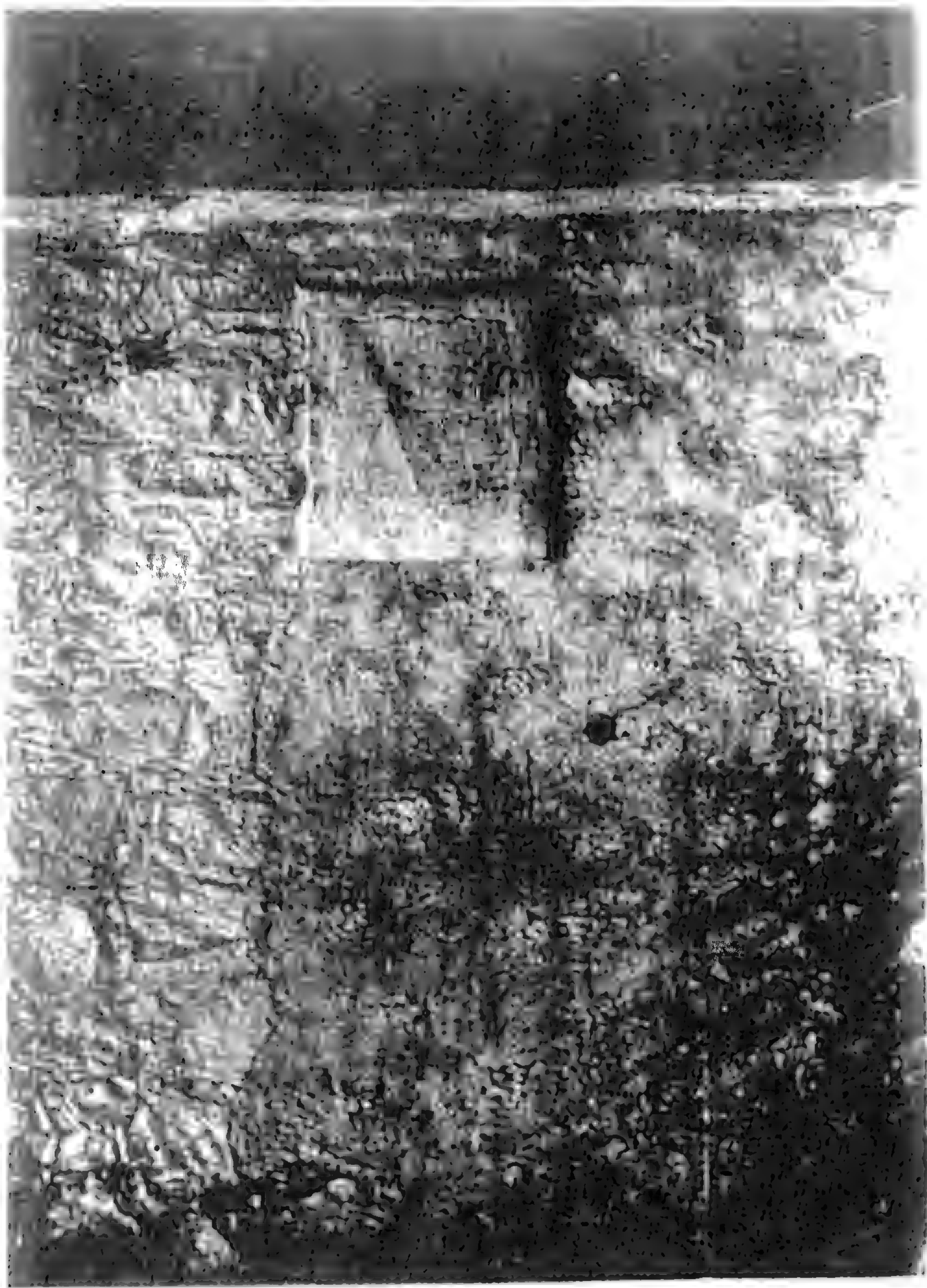
لوحۃ رقم (۱) : مسجد الکوع بالطائف .



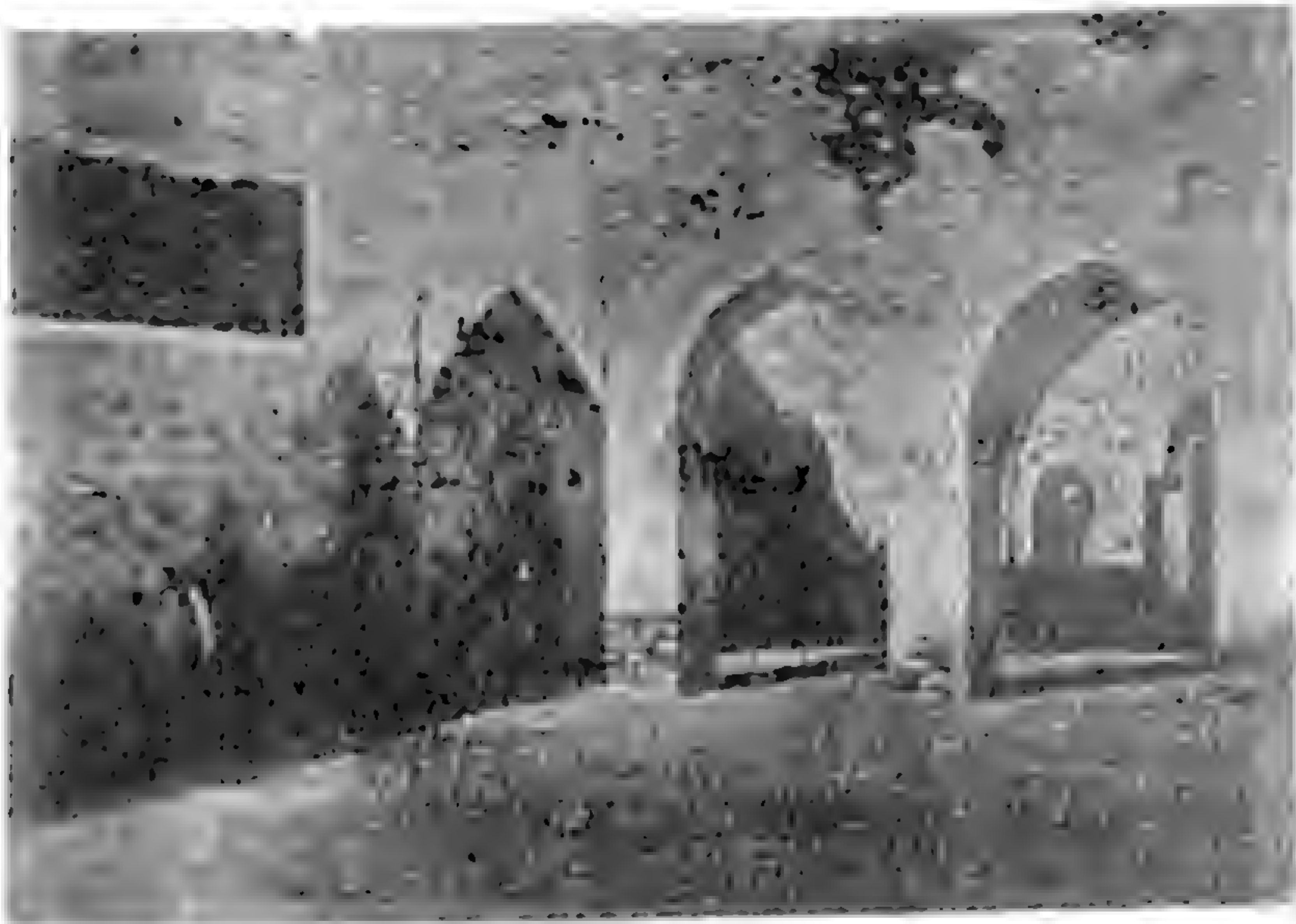
لوحة رقم (٢) : مثذنة مسجد عداس بالطائف .



لوحة رقم (٣) : اللوحة التذكارية لمسجد البيعة الكبرى .



لوحة رقم (٤) : لوحة تذكارية ثانية لمسجد البيعة الكبرى .

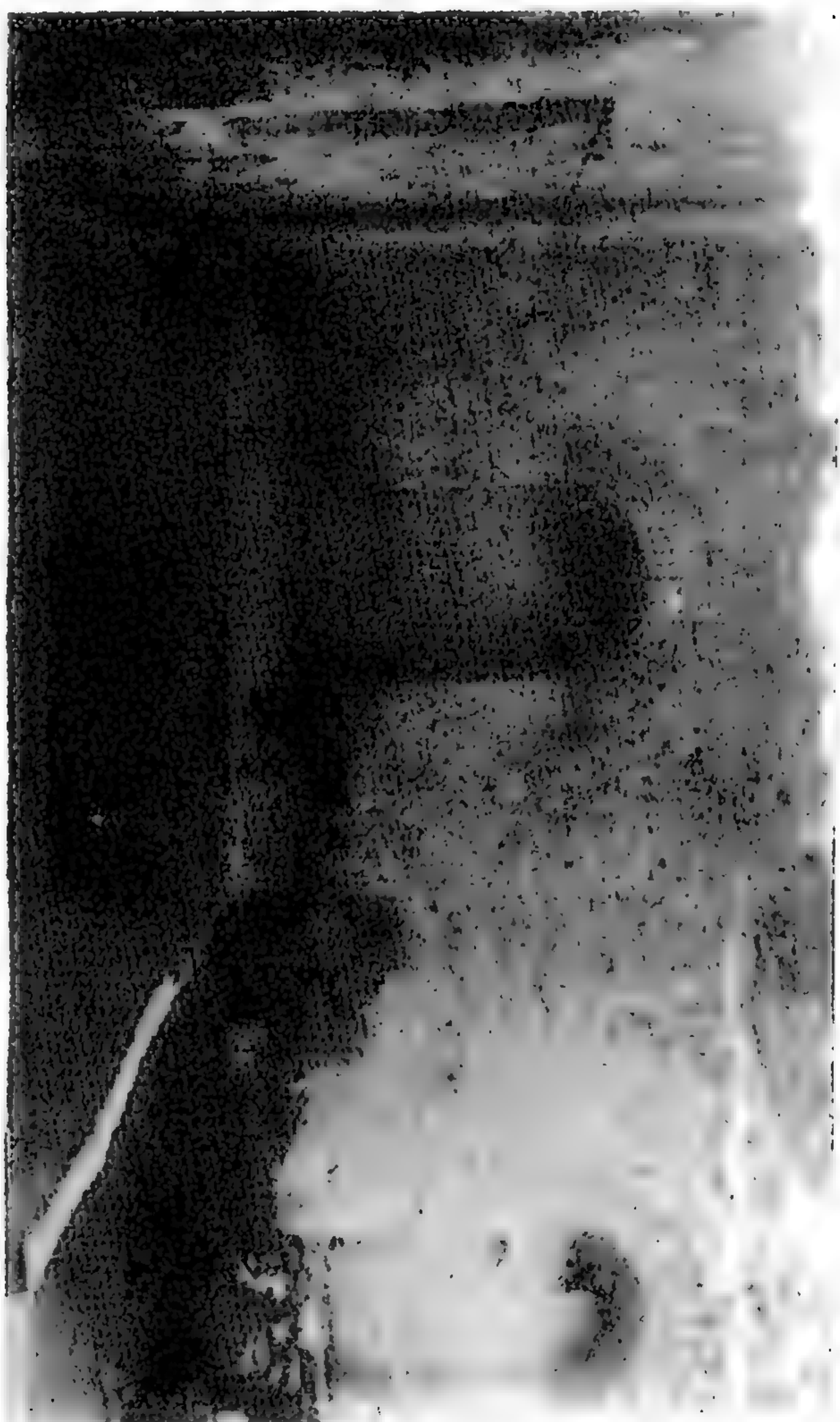


لوحة رقم (٥) - مسجد اليمعة الكبرى -



لوحة رقم (٦) : قبلة مسجد البيعة الكبرى .

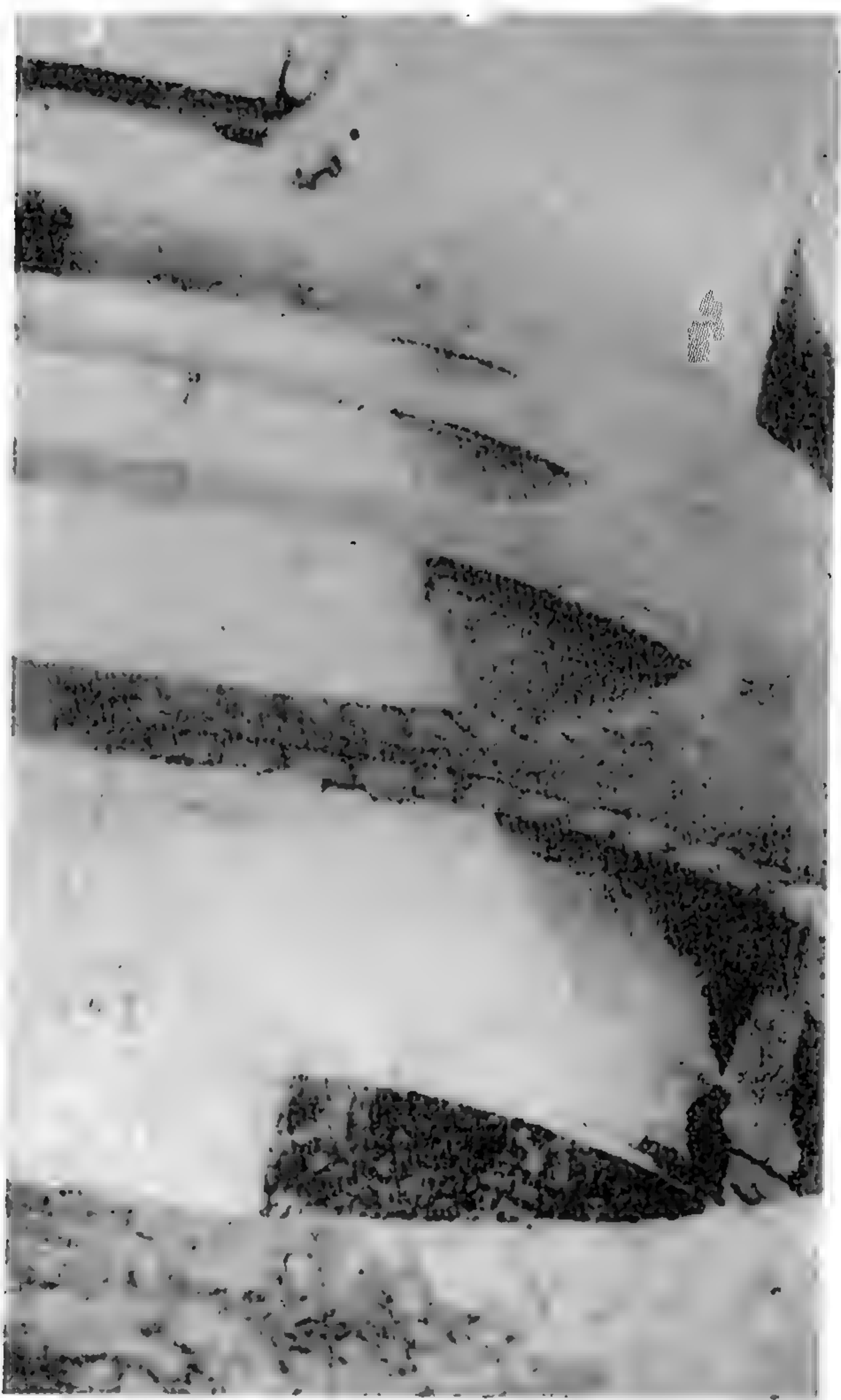




لوحة رقم (٧) : ايرنان بسجد اليمه الكبرى .



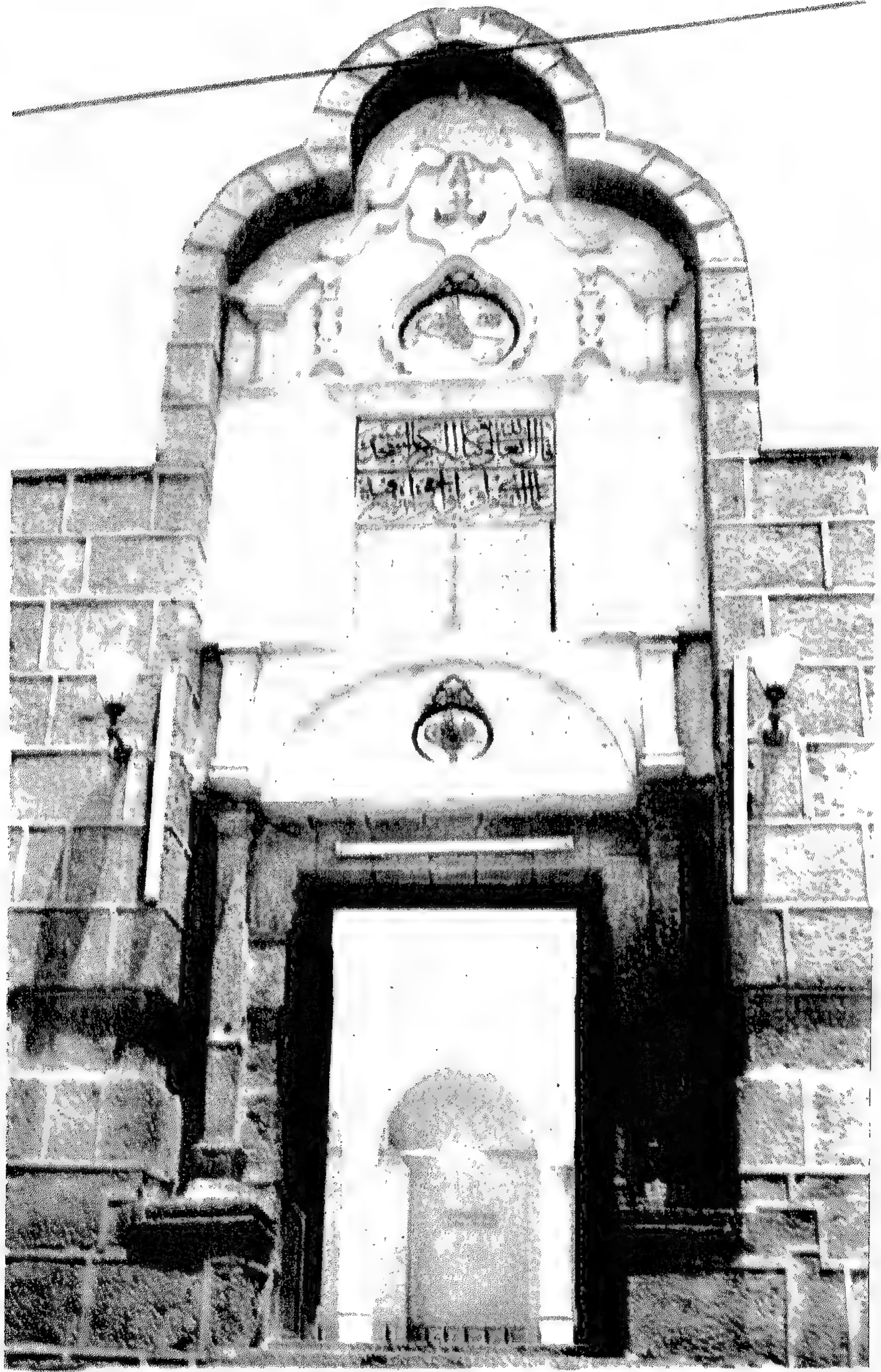
لوحة رقم (٨) : بعض اروقة مسجد البيعة الكبرى .



لوحة رقم (٩) : اروقۃ ايران القبلة بمسجد اليمۃ الكبرى .



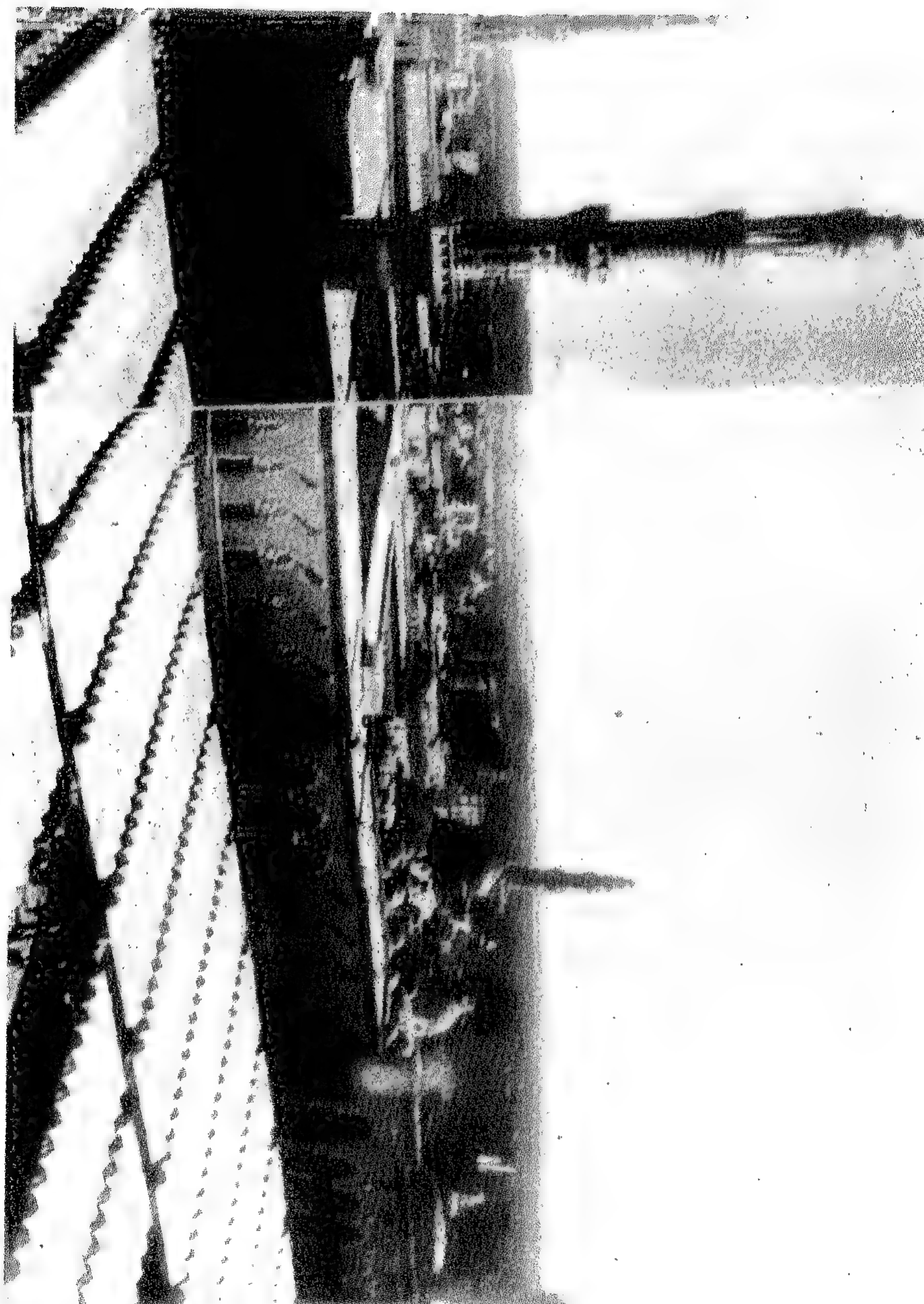
لوحة رقم (١٠) : المدخل الرئيسى لمسجد القبلتين بالمدينة .



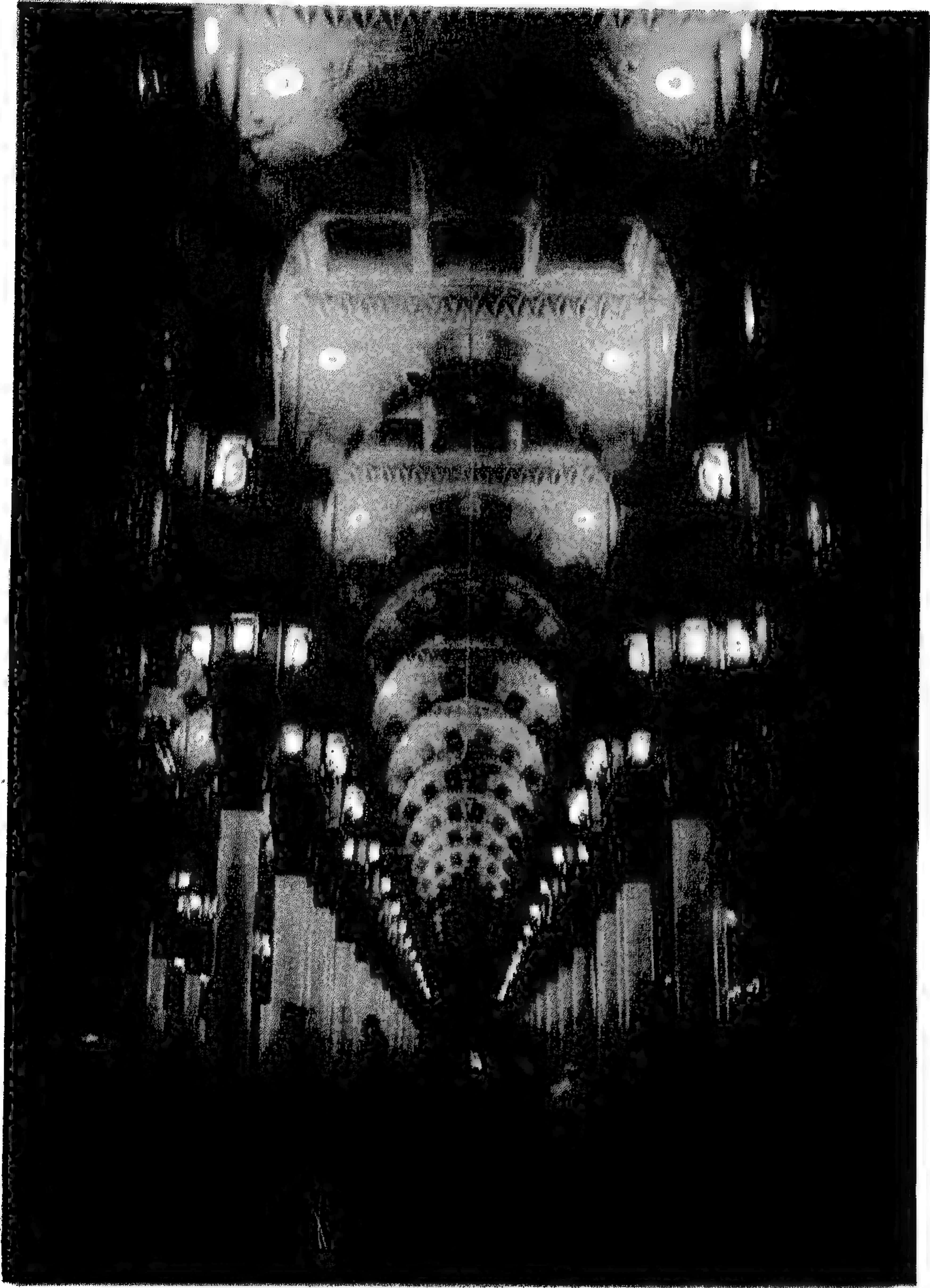
لوحة رقم (١١) : مسجد القبلتين بالمدينة المنورة .



لوحة رقم (١٢) : محراب مسجد المصلى (الضمامه) .



لوحة رقم (١٣) : المسجد النبوي .



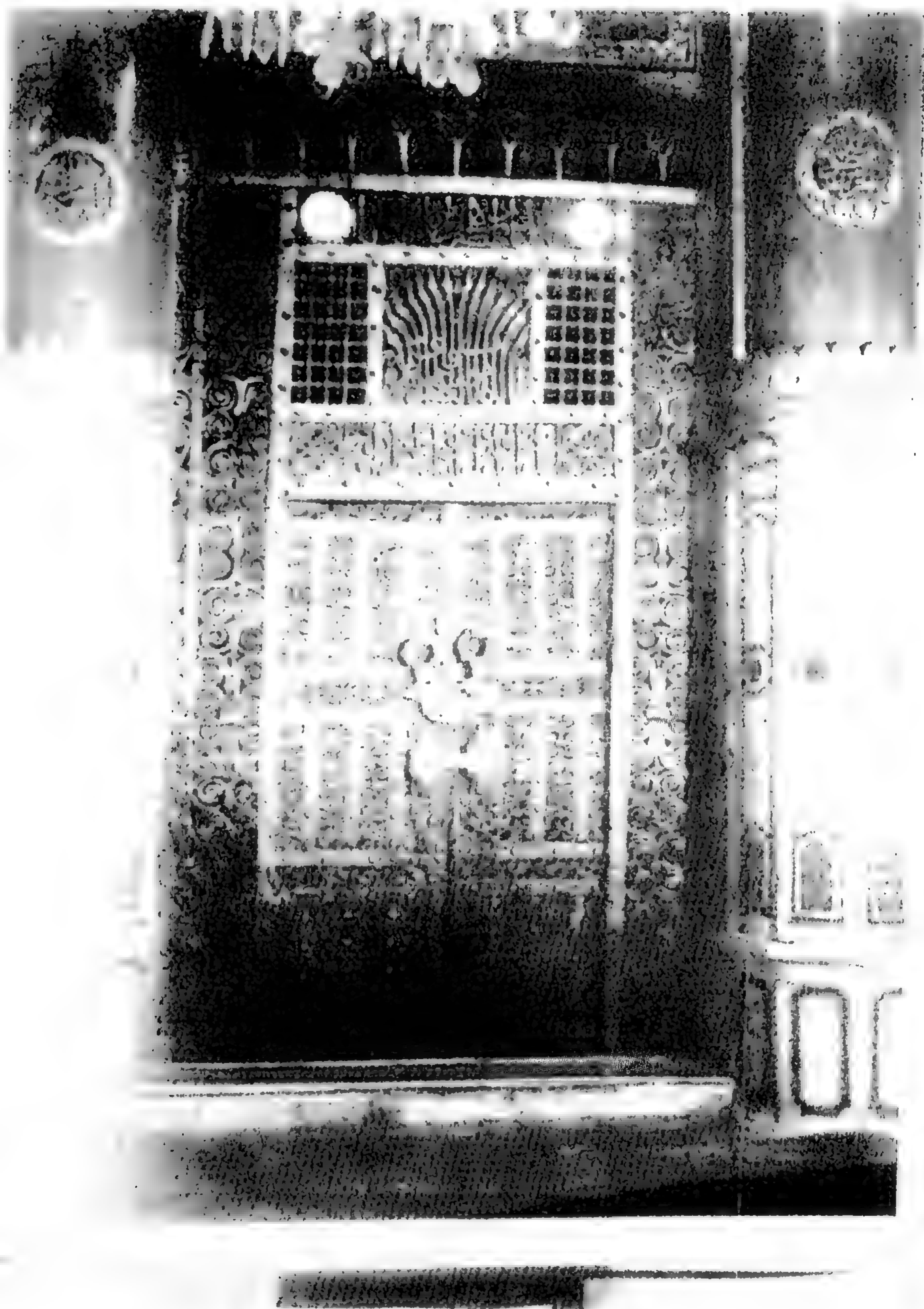
لوحة رقم (١٤) : أحد إيوانات المسجد النبوي .



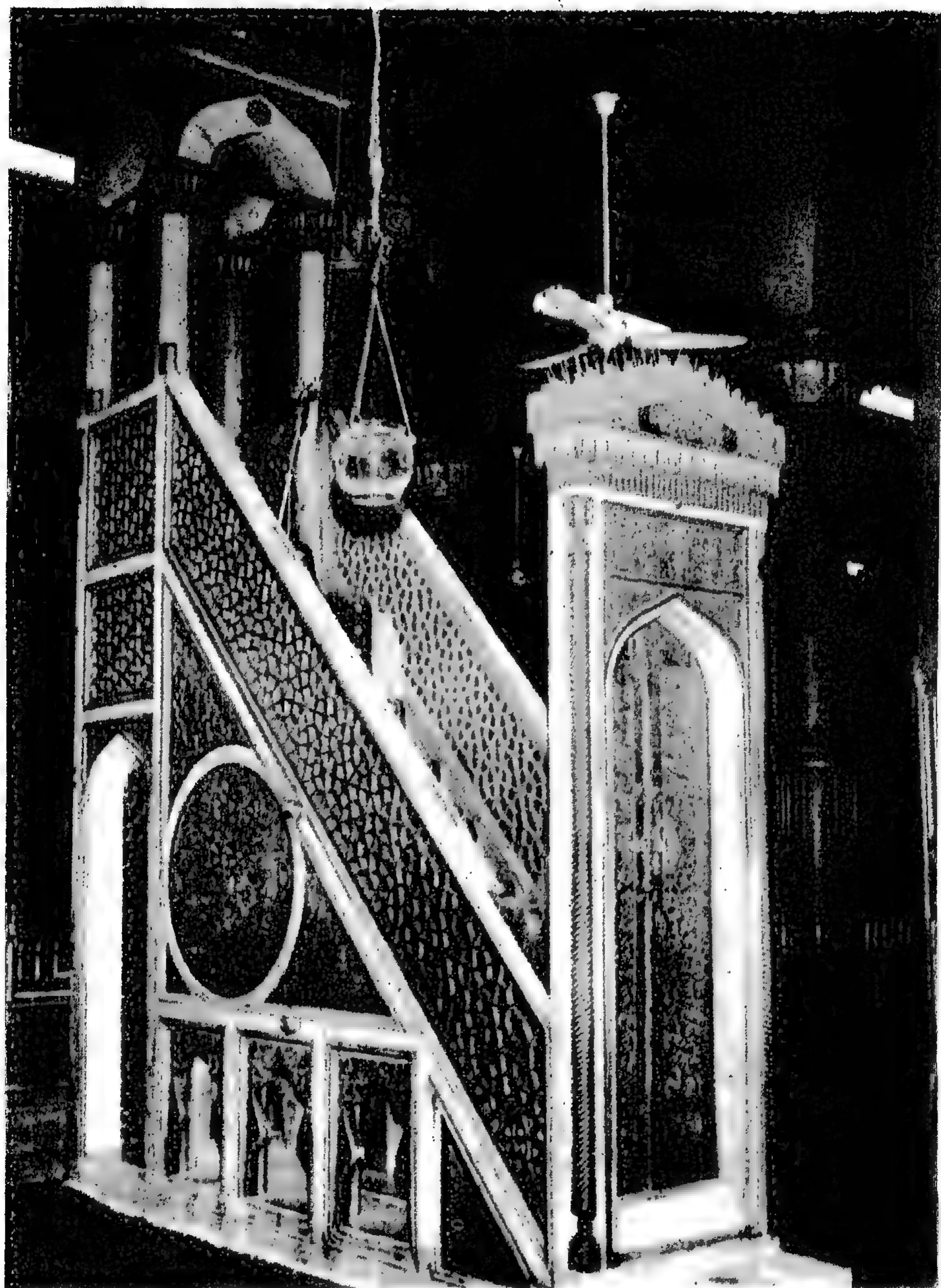
لوحة رقم (١٥) : اروقة المسجد النبوي .



لوحة رقم (١٦) : محراب قایتبای بالمسجد النبوی .



لوحة رقم (١٧) : باب المقصورة النبوية .



لوحة رقم (١٨) : محراب المسجد النبوي



لوحة رقم (١٩) : الباب الغربى للمسجد النبوى .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١١	مساجد في السيرة النبوية العطرة
١٣	التعريف بالمسجد
١٨	موقف الرسول أو مسجد الكوع
٢١	مسجد الخبزة
٢٣	مسجد عدّاس
٢٤	مسجد بيعة العقبة بمكة المكرمة
٢٧	وصف مسجد البيعة
٣٥	مسجد قباء بالمدينة المنورة
٤٢	الوصف المعماري
٤٤	مسجد القبليين
٤٦	الوصف المعماري لمسجد القبليين
٤٧	مسجد الجمعة
٥٠	الوصف المعماري لمسجد الجمعة

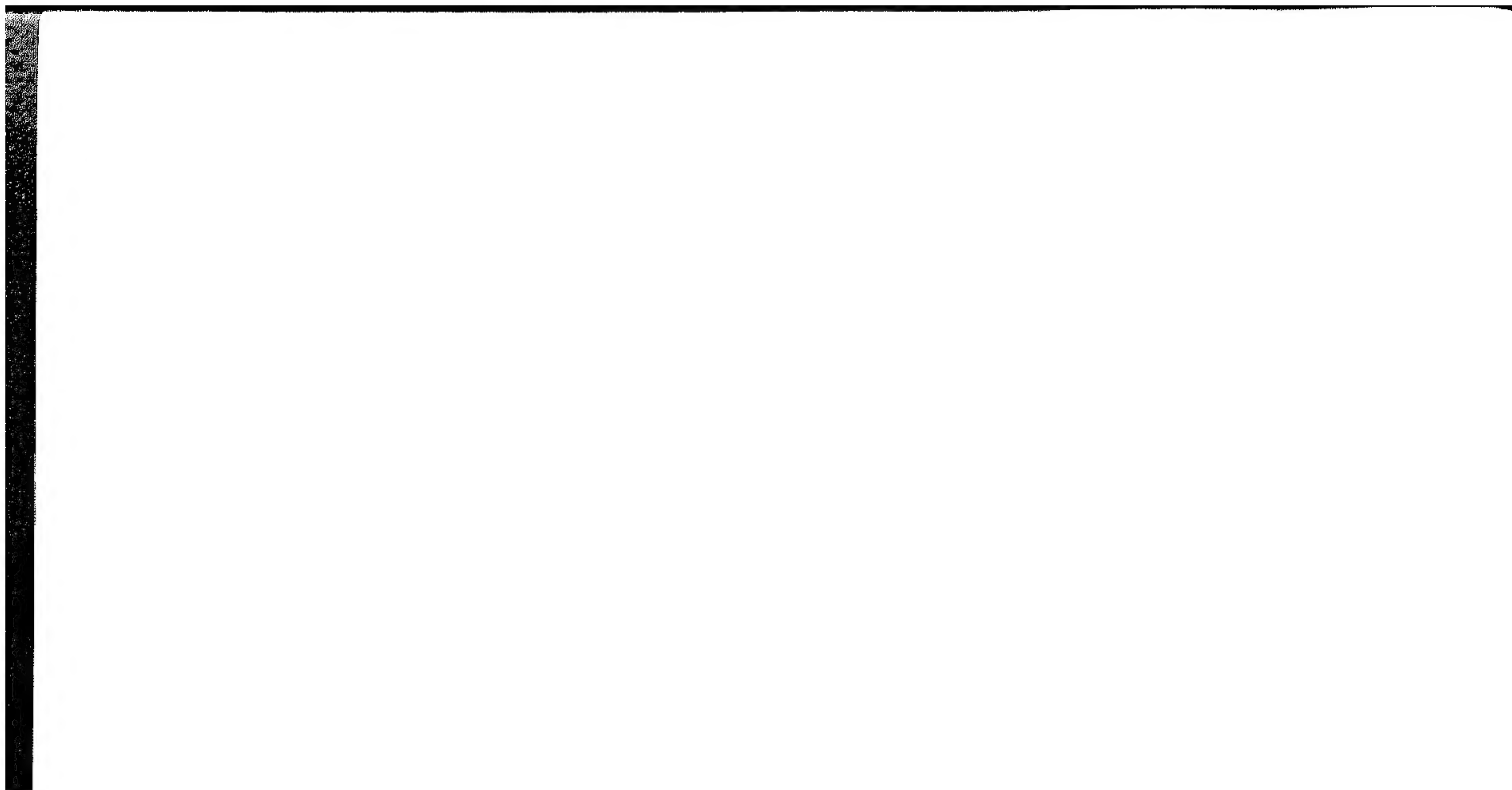
٥٣	الوصف المعماري لمسجد المصلى أو الغمامة
٥٥	مسجد عبدالله بن العباس بالطائف
٥٨	المسجد العباسي
٦٣	المسجد النبوي
٩٠	المسجد النبوي في عمارة الدولة الأموية
٩٧	عمارة المسجد النبوي (بعد الحريق الثاني سنة ٨٨٦ هـ / ١٤٨١ م)
١٠٢	عمارة المسجد النبوي في عهد الدولة السعودية
١١٤	مسجد مصلى العيد المعروف بمسجد الغمامة
١٢٠	الوصف المعماري لمسجد المصلى أو الغمامة



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٤٧٠٦

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٤٤١ - ٣



لقد ورد في السيرة النبوية ذكر كثير من الأماكن التي كان لها صلة بالبعثة النبوية وقد وصى المسلمون تجليدا لهذه السيرة العطرة أن يقيموا مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً تعبداً وتبركاً وتبتيلاً .

ومن بين تلك الأماكن مدينة الطائف التي ذهب إليها الرسول ليستنجد بأهلها لينصروه ضد أهل مكة الذين لم يؤمنوا برسالته فأقام المسلمون فيها مسجد الكوع عند أسفل الجبل الذي تخضب بدماء كوع الرسول ومسجد عداس العبد المسيحي الوحيد الذي أسلم بالطائف عندما دعاه الرسول للإسلام ثم مسجد الخبز في المكان الذي قدمت فيه امرأة الخبز للرسول وهو بقرب مسجد عداس .

وفي منى بمكة مسجد البيعة الذي أقامه الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٦٤ هـ وهو نفس المكان الذي أخذ فيه العباس عم الرسول (جد الدولة العباسية) البيعة من أهل المدينة قبل هجرته إليها .

وفي المدينة المنورة مسجد قباء ومسجد الغمامة والمساجد السبعة ومسجد القبليتين ثم المسجد النبوي لكثرة ما ألف وصنف عن السيرة النبوية إلا أن هذه المساجد العظيمة الذكر والأثر لم تحظ بما تستحقه من الدراسة ومن ثم فقد رأينا أن نوليها ما تستحقه من الذكر والدراسة الأثرية والمعمارية .